الحوار

في سبيل نهضة جديدة

بقلم : البشير بن سلامة

ان المتتبع للحركة الفكرية فى العالم العربى الاسلامى منذ اواخر السبعينات وبداية الثمانينات يصطدم باضطراب فى المفاهيم وتسطيح للأفكار وتذبذب فى الآراء . وليس معنى هذا ان الضحالة قد حلت بالفكر العربى الاسلامى وان الجهابذة والمفكرين فقدوا من محيطنا الحضارى بل ان الذى يلاحظه العارف الحصيف هو ان هناك صفوة تصدع بآرائها وتفتح الطريق فى ثبات ووضوح رؤية ولكن اصواتها خافتة واقوالها لا تلقى العناية والذيوع .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وليس البحث عن الاسباب بالهين لأن ذلك يقتضى الدراسات والتحاليل المستفيضة ولكنه يمكن الوقوف عند بعض النقاط التى من شأنها ان توضح السبيل .

من ذلك انحسار الديمقراطية فى عدد من البلدان العربية الاسلامية وميل انظمتها الى الدكتاتورية والكلاتية وكبتها للحريات فالجمت الافواه وركدت حركة الفكر واصبحت المانوية المقيتة هى المسيطرة والارهاب الفكرى هو الشائع وحتى العنف « بفنونه » النافية لكل حوار ناء بكلكله .

ثم ان تشتيت صفوف المفكرين واهل الثقافة وانعزالهم فى ابراجهم العاجية واشتغالهم بخويصة بحوثهم واختصاصاتهم واحجامهم عن النزول

فـي حلبات قدح الآراء والاصـداع بالفكـرة فـي مواضيع مصيريـة جـرات الادعياء والزعانف لاخذ الصدارة وملء الفراغ الفكرى الموحش .

زد على ذلك ما اضطرت اليه الكثير من الادمغة المفكرة من الهجرة فى بيئات اخرى تبعدهم ـ مهما كانت صلاتهم وتتبعهـم للاحداث ـ عن محيطهـم الطبيعى وتجعلهم ينظـرون الـى انفسهم والـى مجتمعاتهم نظـرة خارجيـة « موضوعيـــة » .

ولا ننسى ان ما فى العالم المحيط من تيارات فكرية وسياسية قويـة جعل نخبة بلدان العالم العربى الاسلامـى بين مد وجزر تتجاذبها المذاهـب والمدارس وتتقاذفهـا الاهواء والانـواء وتتناوشها مغريـات المادة واسباب المتعة الآنيـة .

ونتج عن كـل ذلك اضطراب القيم فى مجتمعاتنـا التى بدات تمزقها الحركات المتطرفـة هذه تريد ان تجدبها فى عنف الـى الماضى بما فيه من « مواكـــب » الجمود والتحجر وضيق الافق والارهـاب والعنف والطقوس المظهرية التى أخنـى عليها الدهر . وتلك تتوق الـى نقلها فى طفرة عارمـة الى عوالم غريبة عنها فيها الاستلاب والغربة والضياع .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وان المؤسف هو ان هذه المظاهر التى ذكرتها لم يكن ليحسب لهـا العالم العربى الاسلامى حسابها وهو الذى دفعه المصلحون والمفكرون فـى أواخر القرن التاسع عشـر الى نفض الغبار عن نفسه وفتحـوا له الطريق تجديدا للدين وقدحا لزناد الفكر واحلالا للتسامح والحوار وعناقا لحضارة العصر : علما وتقنية وتكنولوجيـا ، ومبادىء وانظمة ديمقراطيـة . ومن لا يذكر اليوم جمال الدين الافغانى ومحمد عبده ورشيد رضا والكواكبى وخير الدين التونسى وابن ابـى الضياف وقابادو وبيـرم الخامس وطـه حسين والعقاد وغيرهم كثير .

هؤلاء وغيرهم صدعوا بآرائهم ولم يحتكروا الحقيقة ولا ادعوا العصمة ولا انفردوا بالحكمة بل كانـوا يمثلون حركات فكريـة واضحة المعالم لها

مريدوها وانصارها يؤمنـون بالتعايش والتسامح ويمقتون كل وصاية او انفراد بالراى . فتكونت بهم الاجيال ودفعوا السياسة نحو طريق الديمقراطية رغم التناقضات والوان الاستعمار وواكبوا الحركات الوطنية التحريرية وابلوا فيها البلاء الحسـن .

ولكن شيئا حصل فعاق عن استمرار بوادر النهضة وحولها عن مسارها الحقيقى ، ودفعها الى متاهات مظاهرها واضحة الآن . فهل كان ذلك مرجعه الى كنه هذه النهضة التى لم تتبلور بصورة كاملة ام ان المسار تحول ؟ .

على كل فـان الذى حصل يمكن التعمق فيه وتقصيه بصورة علمية وساكتفى بـأن اعرض رأيا لعله يهدى الى حقيقة الامر ويوصل الى الخروج مما نحن فيه وسانحو فى ذلك نحو المقارنـة مع شعب آخر لعله يحدونا الى زيادة التدبر والكشف عن الحقيقـة .

لناخذ اليابان الذى اصطدم بالغرب فـى نفس الوقت الذى اصطدم بـه العالم العربى الاسلامى . فقد بدا نهضته فى الفترة ذاتها وسلك مسلكا فـى الاول شبيهـا بالذى سلكناه فمن جهـة حرص على ان يقلد الغرب فى كـل أسباب العصر من علم وتقنية وتكنولوجيا ومن جهة أخرى قرر ان يبقى على كل مقوماته الثقافية واسس شخصيته الحضارية بما فى ذلك لغته المعقدة ولم يعتبر ذلك تناقضا ولم يحاول البحث عن موقف يؤلف بين هذين الاتجاهين ويتحدى به العالم الغربى ويختص به بل حـاول ان ينسجم مع هـذا العالم فـى كل المظاهر التى تجعله يحتك بالغير ووصل فـى آخر الامر الى ما لم يصل اليه اى بلد شرقى كـان فـى اواخر القرن التـاسع عشر متخلفا . وهكذا حافظ هذا الشعب على شخصيتـه الثقافيـة بكل قوة وانسجم فـى العالم الجديد وبزه فى كثير من مآتيه العلمية وجعله يطمئن اليه بدون تحد ولا ضجة كبيرة .

وفى العالم العربى الاسلامى بدأت النهضة على تلك الشاكلة ولكن ببطء كبير وغفلـة عن كثير من الاحداث رغم قربه من الغرب ممـا اطمع هذا فيـه

وضرب عليه ضروبا من الاستعمار وجعله يبحث عن نفسه ويحاول ان يوجد رؤية جديدة حضارية يبز بها الامم الغربية ويتحداها نظرا الى ماضيه الزاخر بالعلم والفنون ومضى فى كل شىء ، فى الدين والثقافة والسلوك والمواقف السياسية يبحث عما يميزه بايجاد تاليف بين ما اتى به الغرب وبين ما ورثه من الماضى ويشغله كل ذلك عن الجوهر وتركه لا ينهض بسرعة مثل اليابان علميا وتقنيا رغم دخوله فى حرب ماحقة وجره جرا الى المبالغة فى تحدى الامم القوية ومجابهتها والدخول فى مهاترات معها بدون فائدة ملموسة ترجى من ذلك .

فكانت النتيجة ما ذكرته فى اول هذه السانحة من المظاهر السلبية التى لا يمكن ان يختلف فيها اثنان وكان التعثر والذبذبة واختلاط السبل اللهم الا بعض البلدان التى عرفت كيف تخفف من حدة هذه الآفات وسلكت مسلكا مغايرا جنبها كثيرا من الويلات ولا اريد ان اذكر هنا اى بلد حتى لا ادخل فى حساسيات غير ذات موضوع وتخرجنا عن الغاية التى نريدها وهى البحث عن العلاج بالنسبة الينا جميعا ونحن مقدر علينا ان نكون فى مركب واحد احب البعض او كره .

وليس من طريقة الآن والسياسات فى بلدان العالم العربى الاسلامى على ما هى عليه ، الا الالتفات الى المفكرين والمصلحين واصحاب الراى وجمعهم فى حركات بارزة المعالم وفسح المجال للحوار والنقاش والتداول فى الشؤون الفكرية الثقافية المصيرية ورسم الخطط الكفيلة بالخروج من هذه الدركات من دون اللجوء الى العنف والارهاب مهما كان ومن دون التطرق الى العمل السياسى الذى لا بد ان يستنير بهذه الحركات ويستفيد منها .

نحن فى حاجة الآن الى تقييم جديد مركز صادر عن تجمعات فكرية عميقة النظر قادرة على ان تصدع برأيها فى جلاء وان تجمع ما تشتت من الافكار والمفكرين وان تقوم بعمل مركز لا يهدف الا الى دفع عجلة النهضة

العربية الاسلاميـة من دون تعصب ولا مانوية ومن دون تحد لاى كان ، بل يجب ان تكون هذه النهضة متلائمـة مع عالمنا الحاضر منسجمة معـه لا تكن أية عداوة ولا استنقـاص لاى كـان مستعينـة به متعاونة معـه وخاصـة مع هيئاته الفكرية والثقافية ، انسانية لا عرقية ولا دغماتيكية .

هذه بعض الآراء اضعها على بساط البحث والتدبر وهى تحتاج الـى التعميق والتصحيح ولكنها يمكن ان تكون قاعدة الانطلاق وانى ادعـو قـراء المجلة وغيرهم ممـن يظفروا بهـذا العدد ان يوافونا بآرائهم ولعلنا سنفرد بالنسبة الى هذه السنة عددا خاصا بهذا الموضوع نساهم بـه فيما نسميـه بالنهضة الجديـــدة .

البشير بن سلامة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الرهان على الثقافة رهان على المستقبل..

بقلم : محمد مزالي

اود بادىء ذى بدء ان اتوجه بالشكر الى كافة المشاركين فى اللجان الاستشارية (*) التى اشتغلت طيلة اسابيع ووضعت تقارير قطاعية حللت فيها الوضع الثقافى وتقدمت باقتراحات للنهوض بالثقافة قد لخصت باللائحة العامة التى تليت علينا منذ حين واشار اليها السيد وزير الثقافة فى كلمته — كما اعبر عن ارتياحى للنتائج الايجابية التى تمخضت عنها اعمال كل هذه اللجان . وثقوا ان الحكومة ستواصل سعيها لوضع هذه المقررات موضع التنفيذ على مراحل وبالتعاون مع اهل الذكر من المثقفين انفسهم ، وان وزارة الثقافة وعلى راسها الاستاذ البشير بن سلامة سوف تكون الساهرة ، فى المقام الاول ، على ذلك لان الحكومة لم تزل ، بهدى من الرئيس ، تعطى الثقافة عناية كبيرة لايمانها بدور الثقافة فى المجتمع وتأثيرها فى النهضة الشاملة باعتبارها بعدا اساسيا من ابعاد التنمية .

ذلك ان الانسان لا ينهض ولا يسعد ولا يتحرر ولا يكرم بالخبز وبسد حاجاته المادية فقط بل هو يحتاج الى كل ذلك ويحتاج ايضا الى غذاء معنوى وروحى وذوقى وجمالى يكسب حياته معنى ونضاله هدفا ويشفى غليله فى كل ما يتعلق بالاسئلة الوجودية الجوهرية الكبرى التى لا غنى عنها ولا بد منها لكل من يستحق ان يسمى انسانا اى من كانت له اشواق وطموحات عليا فى هذا الوجود .

(*) هذا نص الكلمة التى ختم بها الاستاذ محمد مزالى الوزير الاول والامين العام للحزب أعمال اللجان الاستشارية للثقافةوذلك يوم الاثنين 8 جوان 1981 بقصر المؤتمرات بتونس .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولعله من المفارقات ومن الغبن فى ذات الانسان ان نحصر حاجاته ونقصر متطلباته على ما يحتاج اليه البطن فقط ونتغافل او نغفل عن احتياجات القلب واحتياجات الروح . لذلك قلنا ، منذ الاستقلال : ان الثقافة كالتعليم شيء ضرورى للشعب وانه من واجبات الدولة ان تساهم فى النهوض بقطاع الثقافة ولقد كانت الثقافة قبل ذلك ظاهرة هامشية محصورة فى بعض الانفار من الشعراء والرسامين والممثلين والموسيقيين يعيشون على الهامش ، لم ينظر اليهم المجتمع حينذاك نظرة مسؤولية وترشيد ولم يعتبرهم حاملى رسالة ولا مضطلعين بوظيفة اجتماعية ، وكان الاستقلال واعيد الاعتبار لكافة الخلاقيين والمشتغلين بالثقافة والعاملين فى رحابها .

ويمكن لكل من استقرأ تاريخ تونس منذ الاستقلال ان يقف على عناية الرئيس الحبيب بورقيبة بالثقافة وباهلها ، انه يجد ذلك جليا سواء فى خطب الرئيس او فى بعث وزارة كاملة للثقافة عام 1961 او فى ما اولته الدولة من عناية لشؤون التربية ولانشطة الشباب سواء فى الهياكل الرسمية او فى المنظمات الشبابية .

ان فى خطاب الرئيس عن المسرح سنة 1962 وفى خطابه بالكاف عام 1968 حول الثقافة وفى اختتام ملتقى مثل هذا الذى أتشرف بالاشراف عليه بعض الامثلة من بين عشرات الامثلة التى تدل على ايمان السيد الرئيس وايمان الحكومة التونسية بالثقافة وباهلها .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وعندما نتحدث عن الثقافة يجب ان ننظر اليها نظرة حركية ديناميكية فالثقافة شيء حى يكون ويتكون ويتطور ويتفرع الى عدة فروع وينمو لاسباب وبفضل عوامل متعددة ليس العامل المادى فى اعتقادى اهمها ، بل لعل عقلية الناس فى كل المستويات وتطور هذه العقلية هو السبب الاول الذى يجعل الثقافة تنشط او لا تنشط ، تعتبر ظاهرة حيوية ضرورية او شيئا هامشيا ثانويا .

والواقع انالثقافة كظاهرة انتاج لا يهتم بها الكثيرونتيجة ظروفتاريخية وعقليات ترسبت على مر العصور ، افضت الى اعتبارها شيئا كماليا وتقضية وقت ومظهرا من مظاهر اللذة التى يتعاطاها الخواص او بعض سراة القوم .

ان كثيرين ممن تكونوا فى تونس وخارج تونس فى الشرق والغرب درسوا فى الجامعات وانهوا تعليمهم العالى احيانا وحملوا او حملوا القابا

جامعية رنانة وظلوا على هامش الثقافة . لذلك وجب تغيير العقليات وتطوير المجتمـــــع .

ان شأن الثقافة كشأن الشباب والرياضـة لم يكن يعتبـر ولم يزل غيـر معتبر عند البعض أمرا ضروريا . لقد أصبح الكل يؤمنون بالتعليم وبالشغل وبوسائل النقل كضرورات متاكدة اما الثقافة فهي شيء عرضي ثانوي عند الكثيرين .

اعتقد اناكبر مكسب حصل منذ الاستقلال هو اندينامكية الثقافة جعلتها تصبح شيئا فشيئا عنصرا او جزءا لا يتجزأ من حياة المجتمع وحاجة منحاجات الافراد الملحة . فهـي اليوم عند اكثـر النـاس شيء واجب الوجود وواجب التشجيع ، فالمواطن أصبح في كثير من الاحيان يشعر بانه منقوص ، مهضوم الجانب اذا هو لم يتمتع بالقدر الادنى من الثقافة لتغذية خياله ولتفتيح ملكاته ولارهاف حسه ولتهذيب ذوقه ، بل ان بعض رجال الاقتصاد ورجال الاعمال ورجال السياسة اصبحوا اليوم يعتقدون ان الثقافة ظاهرة يمكن نعتها بأنهـا ذات جدوى علما بأن أكثر الناس يصنفون الاعمال او الظـواهر بين مـا كان منها مجديا وبين ما كان منها هامشيا او طفيليا .

هذا كسب كبير لا يمكن ان يحصل بمجرد قرار وزارى بل هو ثمرة وعي وتوعية وحوار متواصل ونشاط حثيث وبعث هياكل واسناد مسؤوليات الى رواد طلائعين .

فاذا سلمنا بان مستوى التطور الذى بلغه المجتمع التونسي اليوم يمكننا من الجزم بأن الراى العام وبأن رأى المسؤولين خاصة اصبح متشبثا بالثقافـة يعتبرها شيئا ضروريا كالخبزوالهواء الذى يتنفس فان مستقبلالثقافة وتحقيق ما يرغب فيه اهلها وما تمخضت عنه اعمالاللجان الاستشارية اصبح امرا هين وتوعية وحوار متواصل ونشاط حثيث ،بعث هياكل واسناد مسؤوليات الى رواد طلائعيين .

اعتقد ان المهم فى كل الميادين السياسية والاقتصادية والشبابية والرياضية والاجتماعية ليس هو الهياكل او الوسائل المادية بل المهم فى المقام الاول هو الاقتناع والاستعداد الشخصي والجماعي .

ولابين ذلك اضرب مثلا محسوسافي ميدان آخر واضح التعبير عن موقف الراى العام من مثل هذه القضايـا : هناك فرق كبير فى التصور الشائع بين

والرياضيات فالاولياء يحتجون ويقيمون الدنيا ويقعدونها اذا ما تغيب استاذ الرياضيات اما اذا تغيب استاذ الرياضة فقد يكون اراح واستراح هذا واقع لا يمكن نكرانه يبين بجلاء ان القضية هي قضية اقتناع ومستوى تطور مجتمع ما .

لم يقتنع الناس بعد بان درس الرياضة بالنسبة لتكوين الشباب الذهني والعقلي بله العضلي لا يقل اهمية عن درس الرياضيات وان حصل هذا الاقتناع في بعض الامم المتقدمة .

كذلك الشأن بالنسبة الى الثقافة ، فقد ظل الكثيرون يتصورون ان لا بأس من الاستماع الى قطعة موسيقية او مشاهدة مسرحية او سماع قصيدة في نطاق الترف والكماليات . ونحن نعتقد ان من لا يتغذى بالموسيقى انما هو انسان ناقص من حيث بعده الجمالي محروم من المتعة الفنية وعلينا ان نحسس باهمية الثقافة ، فنحن وان قطعنا خطوات عملاقة بالنسبة لما كان عليه الوضع سنة 1956 ما زلنا دون ما نطمح اليه في هذا المضمار .

ان المسؤولين في بعض البلديات او في الهياكل الادارية الاخرى يعتبرون انفسهم من انصار الثقافة ومشجعيها لمجرد انهم يقدمون بعض المنح للعمل الثقافي او يحضرون كلما سنحت لهم الظروف نشاطات ثقافية وذلك شأن من يكتفون من الرياضة بتقديم بعض المنح او الهبات لهذه الجمعية او تلك .

والواقع ان القضية اهم من ذلك بكثير انها قضية عقلية وعلينا ان نواصل التوعية بحقيقة الثقافة وبدورها وتاكدها في تكوين الشباب وتوفير اسباب العزة والمناعة للامة . وليس هذا دور الحكومة فقط بل هو كذلك دور كل المثقفين من المواطنين الواعين المناضلين في الحقل الثقافي .

ان النجاح في هذه التوعية يقتضي ايضا من رجال الثقافة ومن المنتجين الثقافيين ان يكون في انتاجهم وفي سلوكهم ما يحمل على احترامهم وتغيير الصورة الشائعة خطأ عنهم .

هذا ما كنت اقوله لاساتذة الرياضة وكنت ولا ازال اقوله للمثقفين .

ذلك ان من المنتسبين الى الثقافة او الرياضة من يؤكدون هم انفسهم النظرة السياسية الشائعة ، فالمجتمع يعتبرهم مهمشين وهم يسلكون سلوك المهمشين!

فعلا فكان الرياضي أو الشاعر أو الموسيقى ينبغي ان يكون شاذا في سلوكه وتصرفاته ومظهره .

ولقد حرصت عندما كنت مشرفا على الشباب والرياضة في اول الستينات على ان احاضر بنفسي في المعهد الاعلى لتكوين اساتذة الرياضة لادعوهم لان يكون سلوكهم ناضجا مترشدا . سلـوك المربى المسؤول لا سلوك الرياضـي المدلل . وكثيرا مـا اكدت على انه ينبغي الا يوجد فرق بين استاذ الرياضـة وسائر زملائه اساتذة الاداب والعلوم ... من حيث السلوك والمستوى .

كذلك الشأن بالنسبة لرجال الثقافة من شعراء ومسرحييـن وموسيقييـن وغيرهم ، فعليهم جميعا ان يعملوا بسلوكهم وانتاجهم على استبعاد الصـورة السلبية الشاذة المحمولة عنهم .

بذلك نعمل على ادراج الثقافة بكل فروعها ضمن انشطتنا الجدية لمـا توفره من غذاء نفسي وذوقـــي .

لقد مارست مهام العضوية ببعض البلديات ، وكنت نائب رئيس بلـديـة تونس من سنة 1960 الى سنة 1966 ، واشرفت خلال تلك الفترة عـلى لجنـة الرياضة والشباب والثقافة ، كما توليت رئاسة بلدية اريانة وما زلت اذكر مناقشاتنا في هذه الاطر البلدية : فقد كنا نجد الحماس والاهتمام كلما ناقشنا مشروعا من قبيل تعهد رصيف او اقامة ملهى او حفر خندق او تعبيد طريق.

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

اما اذا تعلق الامر باقامة مسرح او تهيئـة ملعـب رياضي او تشييـد دار للثقافة فـان الحماس يفتر والمشاريع تعتبر غير مهمـة ولا تحظى باولوية الانجـــاز

على ان ذلك لا يعنى التشكيك في وطنية اصحاب هـذه المـواقـف او في اخلاصهم انما الامر يتعلـق بعقليـة مـوروثة وبتكـوين اجتمـاعى أبلى عليه الدهر ويجب تغييره رغم صعوبة مثل هذا العمل .

ان الثقافة كالرياضة من الانشطة الجديدة التى لم تكن معروفة قديما وحتى في عهود قريبة ، ونحن الآن بصدد اقحامها في حياتنا المعاصرة لقناعتنا بانها جزء لا يتجزأ من التنمية الشاملة .

وعلى رجال الثقافة ان يناضلوا هم انفسهم من اجل هذا ويدركوا المرحلة التى يمر بها مجتمعنا والا يكتفوا بالقاء التبعة على الجهات الرسمية وحدها .

على ان مفهوم الثقافة نفسه لا يخلو من الالتباس ، ولست اريد هنا ان اتقدم بتعريف لها انما اكتفي بتناول ناحيتين اولاهما الثقافة كخلق وعطاء والثانية الثقافة كهياكل واجهزة .

والواقع ان الخلاقين من شعراء وموسيقيين ومسرحيين وغيرهم يواجهون تنازعا بين ما يقتضيه الخلق من تحرر وعفوية وما يفرضه الواقع من نظم ومقاييس وقيم اخلاقية واجتماعية وسياسية .

فقد ظل الخلاق على مر العصور ومنذ عهد سقراط على غير اتفاق مع المقاييس الشائعة فى المجتمع لان الخلق معناه تمرد على الموجود ووضعه موضع النقد قصد تجاوزه ومعنى ذلك ان الخلاق يصدم الناس فى ما ألفوه واستقر امرهم عليه ، والناس حريصون عادة على التمسك بالمألوف وبما اصبح لديهم يقينا ويقلقهم ان يضعه الخلاق موضع النقد والنظر فيخالفونه الرأى أو يهملونه وربما اتهموه بأنه فى قلبه مرض او انه يحمل افكارا هدامة .

ان كافة المدارس الفنية والادبية برزت فى غالب الاحيان بالرغم من الواقع الاجتماعي او السياسى او الدينى الموجود . وكذلك الشأن فى ميدان العلم ويكفى ان نذكر هنا بقضية ڤاليلى مع البابا وقبل ذلك سقراط الذى اضطر لتجرع السم ، وبما وقع فى أوربا والعالم العربى وفى العالم الثالث .

ولقد زين الضغط على حرية الكاتب منذ حوالى خمس وعشرين سنة بما يسمى بـ « الالتزام » فهناك خلاقون قد ابتدعوا الالتزام فاعطوا بعض الانظمة راحة الضمير بجعل الخلاق مقهورا مسخرا للسلطة السياسية او الدينية او مراكز القوى الاجتماعية .

وأصر كثير من الحكام وانصاف الحكام على استغلال الخلاق باسم الالتزام بينما الثقافة كخلق هى حرة أو لا تكون لسبب واضح بسيط هو اننا عندما نكون متواضعين ندرك بوضوح ان لا احد يستطيع ان يدعى لنفسه توكيلا من السماء وعصمة ربانية تؤهلانه لان يحكم قطعا بان هذا الانتاج يخدم الشعب او لا يخدمه .

لذلك فنحن فى مستوانا المتواضع ومنذ اسسنا مجلة الفكر دعونا الى حرية الخلاق ولم نزل نؤكد ان المثقف حر ولكنه مسؤول عما ينتج او يخلق ويحاسب

على انتاجه من قبل ضميره أولا وكذلك من قبل المجتمع الذى قد يـرفعه الى درجة العمالقة فى حياته او بعد مماته وقد يواجهه بالاهمال التام .

ان نظرة استقرائيـة بسيطة على احوال المجتمعات تفيدنا ان المجتمعـات العريقة فى الحضارة توفر للفنانين والخلاقين الثقافيين من الحرية اكثر مما توفر لهم المجتمعات السائرة فى طريق النمو التى كثيرا ما تتضايق من الفنان وتخنق حرية الخلق .

ذلك ان الخلاقين فـى العالم المتحضر اليوم قد ورثوا مستـوى اجتماعيـا وحضاريا فرضوا فيه حريتهم بفضل تضحيات زملائهم فى القـرون القليلـة السابقة . وهكذا يتحتم ان يتحملوا مسؤولياتهم وان يكون لهم نفس طويـل وضمير حى وان يكون انتاجهم بالخصوص انتاجا ثقافيا حقا يمتاز بالطرافـة والجدة وروعة الفن وان لا يخلطوا بين الخلق الثقافى الاصيل ومجرد مقالـة صحافية ظرفية مع احترامى للصحافة وما تلعبه من دور خطير فـى النهوض بالمجتمع اذ كثيرا ما يؤدى هذا «الخلق» الى مجازفات والتباسات والى خصومات ما أتى الله بها من سلطان تفسد الحياة الثقافية وتفضى الى صراع بين أهـل الثقافـة والساهرين عليهـا .

سئلت منذ اكثر من عشرين سنة هل ان الادب حر او ملتزم ؟ فاجبت فى مجلـة « الفكـر » بأن القضيـة الحقيقيـة هى هل هنـاك أدب حقيقى أم لا ؟ ذلك ان كل انتاج ثقافى جدير بـأن يسمى ادبا انما هو حر بطبيعته يفرض نفسه ولا تستطيع اية سلطة قهره او كبته فالومضة الربانية التى يتصف بها الخلق لا تخضع للحواجز ولا تقبل القيود .

أما ما يتخذه بعض الادباء والخلاقين من مواقف سياسية وما يحبرونه من مقالات فـى هذا الشأن فتبعاتها محمولة عليهم شأنهم فـى ذلك شان سائـر المواطنين .

وما دمنـا بصدد الحديث عن الخلق اود ان اذكـر ولو بايجـاز ان بعض الخلاقين كثيرا ما ينتقدون القيم الثقافيـة الموجودة باسم الحرية ظاهريـا وهم فى الواقع انما ينتقدونها بالرجوع الى قيم ثقافية مستوردة هى فى عقر دارها عنوان كبت وسحق للادباء والمفكرين .

هذا واقع لا ينكره أى مثقف نزيـه ! وكثيرا ما ينادى بعضهم باصناف من الاشتراكيـات ويعتبرون بعض الانظمة امثلة تحتذى ويقاس عليها ولو اجلنا النظر فى هذه الانظمة لوجدنا فيها الانسان مسحوقا سحقـا باسم التقدمية ! فعلينا ان ندرك ان الحرية لا تتجزأ حتى نكون منطقيين مع انفسنا .

اما الجانب الثاني من الثقافة التي اردت ان اتناوله فيتجسم في الثقافة كاجهزة وهياكل ، وهذا جانب هام لا يمكن للمثقف ان ينهض به بنفسه بل لا بد ان تخصص له المجموعة الوطنية جانبا من مواردها باعتباره امرا جماعيا وضروريا .

ولعلكم تذكرون ما جاء في الخطاب الذى القيته في مجلس النواب حول الثقافة ووجوب دخولها في الدورة الاقتصادية العادية وضربت لذلك مثلين يتجسمان في قطاع السنما وقطاع الكتاب .

وفي أقل من عام اقمنا الدليل على ان كلامنا ليس مجرد خطب فتضمن قانون الميزانية لسنة 1981 احداث صندوق للسنما ، وقد امضى السيد الرئيس جملة من القوانين والاوامر والقرارات صدر بعضها بالرائد الرسمي وسيصدر البعض الآخر في الايام القريبة القادمة .

لقد صدر نص قانوني للاخذ بيد الناشرين والمؤلفين والاقدام على تعويض الكاغذ واتخاذ اجراءات عملية اخرى والغاء بعض الاداءات على بعض المواد الداخلة في طباعة الكتاب حتى تنقص تكاليف الكتاب الثقافي وحتى تستطيع الجماهير ان تتناوله باسعار ميسورة ، فيصبح بالامكان تصديره الى العالم العربي بصفة خاصة ، ويتمتع به ويستفيد منه كل اخواننا الناطقين بالضاد . وهذه خطوة اولى وسنواصل العمل في هذا الميدان وفي غيره من الميادين . ان هذه النظرة الجديدة هي الديناميكية التي حدثتكم عنها في أول كلمتي هذه وحصيلة لتطور العقليات .

فقد اصبح الناس ينظرون الى هذه المشاكل نظرة جدية اكسبت هذه المسائل الجديدة مصداقية اكثر حسب تنامي تلك الديناميكية في تحويل النظرة الى الثقافة باعتبارها ظاهرة تنموية هامة وهو ما سيمكن الحكومة ويمكنكم ، معشر المثقفين ، من ان تنهضوا بالثقافة وتجعلوها في المنزلة اللائقة بها .

هناك عدة اقتراحات لا فائدة في ذكرها ، فما ورد في اللائحة التي قرأها علينا الاستاذ مصطفى الفارسي مستساغ وقابل للتنفيذ التدريجي ...

لكن ما يمكن ان نتقدم به كاقتراح ، وان كان موجودا ضمنيا باللائحة ، فهو اعتبار الثقافة ظاهرة اجتماعية ليست من مشمولات الدولة وحدها فالدولة قائمة

بواجبها على احسن وجه وبقى على المؤسسات العامة والخاصة ان تقوم بدورها في هذا المضمار . فلماذا لا تخصص معاملنا ومؤسساتنا التى تشغل آلاف المواطنين والمواطنات اعتمادات للتنشيط الثقافى ، ولم لا يقع النظر فى العامل والعاملة فى المؤسسة باعتبار حاجتيهما الى الترفيه والغذاء الثقافيين ؟ .

يجب علينا ايضا التفكير فى البيئة الثالثة ، وما للنشاط الثقافى من اهمية فيها ، واذكر فى هذا المضمار مثالا جديدا من دولة اوربية هي فرنسا حيث اسست اخيرا وزارة خاصة سميت بوزارة اوقات الفراغ .

ذلك ان الحضارة تتطور بصورة تجعل الوقت الزائد على ما تقتضيه بالمنزل او المدرسة او موطن الشغل آخذا فى الازدياد وليس لمواجهة هذا الوقت غير احد امرين : اما ان ننظم المجتمع بتنظيم البيئة الثالثة ، بانشاء هياكل مثل دور الثقافة وقاعات السنما ومعارض الرسوم ومسارح الهواء الطلق وملاعب الرياضة ... فنحمى شبابنا وسائر المواطنين من الفراغ القاتل ونعينهم على تكوين اضافى متواصل لا يرتبط بسن معينة او نهمل هذا الجانب فيظل الشارع كما عرفناه فى اكثر الاحيان بما فيه من حانات وبذاءة وعنف وقوى ظلامية متزايدة قد تجد هوى فى نفوس بعض الشباب لما يعانيه من غصص القلق ومن ألم الشعور بالفراغ .

هذه قضية حضارية مستقبلية ، وليست مسألة اعانة لفنان او طبع كتاب ، انها مسالة اتجاه حضارى فعلى الانسان قبل اتخاذ اى قرار التملى من الواقع مثله كمثل الطبيب حين يشير بالدواء ينبغى ان يكون تشخيصه للمرض صحيحا وكشفه وفحوصه صحيحة ... وما نلاحظه عند الدول المتقدمة بل حتى بعض الدول المتخلفة هو ان نصيب هذه الاوقات الفارغة التى ليست من البيئة الاولى اى العائلة ولا من البيئة الثانية اى المدرسة او الشغل فى تزايد من حيث اهميتها ومشاكلها وهمومها ...

هذا واقع، فقد انتشر العنف وتفاقم امر المخدرات... والكحول، وهى ظاهرة غريبة جدا حتى أن بعض الناس يلوذون بالشعوذة فقد بلغنى ان بعضهم يرى ان الساعة قريبة وانتشرت أراجيف وأساطير شعبية فى بعض الاوساط وأخذ البعض يتوقع عودة المهدى المنتظر ومنهم من يعتقد ان المهدى قد عاد فعلا ..

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقد زاد هذا الجو من الشعوذة منذ سقطت تلك «الحجارة» في الدهماني فالخيال الشعبي اصبح « خلاقا » بصورة غريبة .

يشاع مثلا ان بغلة انجبت وهناك اساطير واشاعات كثيرة مما يدل على تفشي الجهل في بعض الاوساط وهو ما روج خرافات من مثل خرافات راس الغول التي كنا نقرؤها زمن الصبا في الكتب الصفراء ...

هذه كلها مظاهر تدل على حالة الفراغ وعلى المشاكل والازمات التي يتحتم على المجموعة القومية السعي لتنظيم البيئة الثالثة وملئها هياكل مفيدة تقاوم الفراغ القاتل وبذلك نكون قمنا بواجبنا وصنا ابناءنا واحفادنا والاجيال الصاعدة مما يتهددهم من فراغ ومما نشاهده في بعض اوساطهم من عنف .

حين أتحدث عن الثقافة بمثل هذا الحماس فليس ذلك لانتسابي اليكم او لكوني مواطنا كنت استاذا شابا قمت بواجبي فاسست مجلة وشجعت المواهب انما هي مسألة تفكير في المصير الجماعي ، مسألة مستقبل وليست مسألة ماض ، وقضية الثقافة مثل الرياضة ، فالرياضة الحق هي التربية الرياضية التي تهذب الروح وتروض العضلات لا رياضة الانحراف والهمجية والثقافة الحق ليست الشعوذة بل هي الثقافة المترشدة التي تملأ اوقات الفراغ وتغذي النفس وترفع مستوى البشر وتخرجه من بحرانه الحالي الذي هو الظاهرة الكبرى في الربع الاخير من القرن العشرين والتي كتب عنها اكبر المثقفين والمفكرين في البلدان المتقدمة قبل البلدان المتخلفة . لهذا السبب قلت لكم : ان للثقافة دورا ، وان اهميتها ستزداد مع الايام .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بقي لي اقتراح اود تقديمه وهو مشروع تحدثت فيه مع السيد وزير الشؤون الثقافية يتمثل في بعث مؤسسة وطنية للنهوض بالتأليف والترجمة وتحقيق التراث تكون تونسية أساسا مغربية عربية مشربا ، عالمية تركيبا ، سيكون لها أثرها بحول الله في دفع حركة الفكر على اسس مدروسة مخططة مركزة واضحة المعالم والاهداف حسب برنامج عملي قابل للانجاز .

بهذه الطريقة نقيم الدليل على ان الثقافة العربية الاسلامية في هذه الديار ثقافة اصيلة وثقافة مشعة وقادرة على ان تشع اكثر فاكثر في مستوى عالمي

لان الشعوب بثقافتها ، وبفكرها ، وباثارها الحضارية ولا تقاس قيمة الشعوب بمساحتها الجغرافية ولا بثرواتها المعدنية او الاقتصادية فقط . قيمة الشعوب وتفاضلها فى خدمة المعمورة الفاضلة انما تقاس بمدى اشعاعها الحضارى لان الذى يبقى هو الفكر ، هو ما يكيف المصير الانسانى ، ويغذى قلوب الناس ويجعلهم يتعارفون اكثر فاكثر ومناعة الشعوب هى مناعة فكرية حضارية قبل ان تكون عسكرية او كلامية ...

وبقدر ما يتألق الفكر الخلاق فى شعب من الشعوب تكتشفه الشعوب الاخرى وتعطف عليه وتتعاطف معه وتقدره وتحميه لانها تتغذى منه . وبقدر ما ينتج الخلاقون فى شعب من الشعوب يخدمون السلم لان السلم مبنية على تحاب الناس ، وفى خصوص تونس والامة العربية عامة اعتقد ان افلاما قيمة ولوحات فنية رائعة ومسرحيات عميقة ودراسات تاريخية ومحاولات قصصية واشعارا رائعة اذا ما نشرت ووزعت فى الناس وترجمت الى لغات الشرق والغرب من شانها ان تكون عاملا اهم من غيره فى تنزيل تونس وسائر البلاد العربية منزلة ارفع وافضل . فالشعوب بحضاراتها والتاريخ يفيدنا أنه حتى عندما يقع اعتداء عسكرى على شعب قوى حضاريا لكنه ضعيف عسكريا يكتب الانتصار فى النهاية للشعب القوى حضاريا كما وقع بين روما وأثينا واوغل فى التاريخ حتى لا يقع التباس فى كلامى . فالفكر والحضارة لهما البقاء ولهما الفاعلية ولهذا فبقدر ما نراهن على الثقافة نراهن على المستقبل وعلى المناعة وعلى الانسان التونسى وعلى الانسان العربى وعلى الانسان بصفة عامة ونحن نريد الانسان سليما كريما ترفرف عليه المحبة والاحترام المتبادل ، فلتكونوا روادا لهذه النظرة ولهذا الفهم للسياسة بمعناها النبيل البعيد ولتكونوا روادا خلاقين حتى تفيدوا قومكم وتخلدوا وتشعروا بالنخوة التى لا يضاهيها جزاء آخر .

محمد مزالي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الرّحيل ...

شعر : محمد راضي جعفر
(العراق)

لتونس تفتحُ المدنُ العتيقةُ في الضحى
أبوابها الزرقاء ، فالمرسى سماء بابُهَا الأولى .
وتونس ترتدي ، كالبحرِ ، عافيتين : من خَمْرٍ
معتقة ، ولحم مفعم بروائح الأعماقْ .
وتونس غاضها العشاقُ يوماً فاحتمتْ بي :
— أيها الرجلُ الملثّمُ بالتطهّرِ
انّ بي تترصّدُ الأحداقْ

* * *

واه أيّها القمرُ المسالمُ : ما الذي أبقى
الأوائلُ فيكَ لي ؟
بلْ ما الذي أبقيتَ لي من وهجكِ الأرْوعْ ؟ !
تباغتني السواحلُ ، اذْ أعفّ ،
وما هممتُ بلذّة .. وتفيض بي حدّ التصوّفِ
هلْ تشي الشرفات في «بو سعيد»
بالبدويّ يحملُ ، كالغريب ، عباءةً ، وعصا ،
وقلباً موجعاً بالزهد !
أمْ هلْ تومىء الأبواب حينَ يمرّ :

– هـذا العـاشِقُ المـوْجَعْ ؟ !

★ ★ ★

تسـاومك الشـواطىء أيهـا الـراحـلْ
وتـونس تـرتـدي في الصيفِ كـلَّ البحـر عاريَــةً
وتتـركُنـي وحِيـدًا عنـد رمـل الشاطىء المـزحـوم
بالأجسـادِ ..
تتـركنِـي عـلى السـاحـلْ
أعـومُ بغَيْـرِ مَـــاءٍ ،
أيهـا الحـوتُ المغـامِرُ تحتْ قاع البحـرِ
كـلّ الأرض ماءٌ وانتظـارْ

★ ★ ★

أثمـةَ منـزلٌ «لتميـم» بَيْنَ ديار تـونسَ ؟
دُلّنِي .. إنّ العشيِرة عترتِي ، وديارها
زهـوي .. ألا فعمي صباحـا يا منـازلنا
الوديعـة في « تميـمْ »
كثيـر زَادُكِ المَمْلُـوحُ ...
مَـنْ يهبُ الهـوى للنـاسِ ؟
أو يـرثُ الهـوى عنهـمْ ؟
وأيُّ حِسـانِكِ النبعـاتُ أيقظتِ
الـدفِيـنَ وأشعلـتْ وهجـي القـدِيمْ !
أيحـزنـك الفـراق ومـا اجتمعنـا بعـدُ ؟
إنّ الحـزْنَ بعض عـزّائنـا الأسمـى ...
وداعــًا يـا « تمـيمْ »

المثقف التونسي والمرحلة الراهنة

بقلم: يوسف الحناشي

يحتل المثقفون في مسيرة تقدم الشعوب ، مكانة بارزة وذلك بتوجيهها الوجهة الصحيحة وازاحة أشباح المخاطر والحواجز من أمامها ؛ فالمثقف ، بجانب الباحث المختص والعامل بالساعد والفكر ، يطفو على سطح الشواغل والمخططات ليقوم انجازات الحاضر ويتوقع متطلبات المستقبل ؛ وهو بهذا العمل غير مميز عن الآخرين بل ان جهده يتدخل في هذه المرحلة ليدعم جهود الآخرين أو ليناقضها معللا مواقفه ومدافعا عنها .

ولقد انجب المجتمع التونسي ، قديمه وحديثه ، ثلة من المثقفين الذين تجاوزوا اطار شغلهم ومصالحهم ليصدحوا بآرائهم ويصوغوا مواقف دون خجل أو تردد؛ومن أولئك ابن خلدون الذي قضى حياته يتنقل من بلد الى آخر فرارا من السلطة وبحثا عن القرار ؛ واثناء هذا الرحيل المضني وضع مؤلفه « كتاب العبــر » الذي اتى تصورا موضوعيا لاوضاع الماضي وتوقعا لعلامات المستقبل ؛ وظل هذا المجهود الفكري مرجعا للاهتداء بالتاريخ والسنن المحرك له ؛ وكذلك كان شأن ابن أبي الضياف الذي لم يمنعه وضعه في الحاشية وقربه من السلطة من ان يقترح نمطا سياسيا لنظام المجتمع اعصر من اساليب الحكم الفردي للبايات ، وكان ايضا داعية الى قيم حضارية جديدة قائمة على العمران والعدل ظل من ينطق بها في عصور عديدة عرضة للاضطهاد والردع ؛ ومن اولئك ايضا خير الدين التونسي الذي انتدبته سلطة الحكم في القرن التاسع عشر ولكن بعد ان تحقق له الوعي بالحضارة الغربية عمل على ارساء المؤسسات التربوية والعلمية الحديثة فانجبت خيرة ابناء تونس الذين جاهدوا في تحريرها من الاستعمار ودعا خير الدين في « كتاب اقوم المسالك » الى الاخذ بقواعد الحكم الشورى وأسباب التقدم ، ولا ننسى كذلك النقابي « محمد على الحامي » الذي انطلق من وعيه الفطري بفظاعة الاستغلال لتركيز وعيه على اساس مطمح جماعي تحمل من أجله الويلات واجبر على التوجه الى المنفى حيث مات مخلصا لمبادئه ؛ وسيشكل الطاهر الحداد نموذجا راقيا في خدمة

اوضاع المجتمع التونسي والتنبيه الى سلبياته واقتراح حلول عملية ظلت اصداؤها قائمة منيعة الى أيامنا هذه وقد عانى الاضطهاد الفكري والمضايقات الى ازمات متاثرا بذلك ... وتطول القائمة فى ذكر المثقفين التونسيين الذين ناضلوا من اجل ارساء قيم جديدة وفضحوا الاوضاع المتعفنة .

وفى المجتمع التونسى الحالى مثقفون أيضا .. وهم اصناف . فمنهم المثقف الذى يعلن لك انهزامه أمام حركية المجتمع لان لا امكان ولا دور له فى ذلك ، ويخفى فى هروبه وراء بعده على السلطة أو فداحة هفوات الآخرين وتواطؤ المجتمع معها وينسحب من امامك ضاربا عرض الحائط بكل محاولات الجدال والتوضيح ، فقد طلق هذا الصنف الحياة وركن الى الامر الواقع كما يتصوره ، ومنهم المثقف الذى يهب عكس ذلك راسما اطارا قاتما للماضي والحاضر والمستقبل ، مستعملا فى ذلك مصطلحاته وأساليبه المنهجية والبلاغية ، واذا ما حدثته عن التطبيق قال لك : إنه بامكان الخروج من الحاضر الى ما بعده بقرار واحد أو بتصور معين ، وهذا النمط لا يعتقد فى ان التاريخ حلقات متماسكة بل التاريخ قفزات متقطعة الواقع .. وهذا النموذج يتبرأ منه المسالم للحياة والراغب فيها حتى آباء اليسار فقد ارفضوا عنه ولقبوه بانه اخطر من اقصى اليمين المتصلب ؛ وقد تدل التجارب فى ممارساته انه لا يقدر على تحقيق القليل النادر مما يروم تحقيقه .. وبجانب هؤلاء يوجد « المثقف الهامشى » الذى يختلف عن الانهزامى فى اقباله بعض الاقبال على العمل ولكنه لا يتجاوز مدار الحلقة للدخول الى الجوهر والزحام ؛ وهو يكتفى بارتجال التعاليق فى ركن مقهى ، وقد يتأثر ذوو النوايا الصادقة بتصوراته ويتحمسون لها بين هذه النماذج من المثقفين تصغر منزلة « المثقف المسؤول » الذى تتطلب منه الاوضاع الالمام بكل الجوانب ، من سلبيات وايجابيات والخروج بالتصور الملائم لكل مرحلة مع عدم تنازل عن المبدا وتقدير شروط وحدود الجدل من احترام للطرف المقابل وصيانة المصلحة العامة مهما كانت خطورة المسألة ... والواقع ان هذا النموذج يقل مثله فى المرحلة الراهنة فى بلادنا بل فى العالم العربى ، ذلك ان الاصلاح بالكلمة امام المثاليين والقفزويين يعتبر اجراما يتطلب التنديد به واضطهاده ...

علامات المرحلة الراهنة

المرحلة الراهنة التى نقصدها هى المرحلة التى تلت احداثا اجتماعية

وسياسية خطيرة فى حياة مجتمعنا وامنه وانسجامه وقد أدى بعضها الى تغيير على رأس الحكومة وعلى مبادرتها باتخاذ مواقف عديدة ، ولعلنا يمكن ان نلخص ظواهر الحاضر فى المسائل التالية :

ـ قبول حل وضع التمثيل النقابى : وذلك بتشكيل هيئة نقابية عليا تمثل كل الاتجاهات المتبلورة فى النشاط النقابى ، ومن اهداف هذه الهيئة الاشراف على انتخابات نقابية ديمقراطية ينبثق عنها مكتب تنفيذى يسهر على تسيير العلاقة بين العمال والاعراف والهيئات المديرة للمؤسسات القومية ، وهذا الوضع ذو ابعاد كبرى لانه سيضع حدا لقطيعة او تكاد ما بين العمال وأصحاب وسائل الانتاج والصعوبات التى وجدتها الحكومة لايجاد حل مرضى للوضع ، ولكن العلامة الاساسية التى نأمل ان نتوفر فى المناخ النقابى القادم هو ان لا تسقط النقابات ـ فى احترام قاعدة الانتخاب الديمقراطى ـ تحت تأثيرات فئات ايديولوجية متطرفة همها الاساسى انشاء الكتل الحزبية والسياسية اكثر من مناصرة حقوق العمال . ان الهيكل النقابى السليم هو الذى يساير الظرف التاريخى الدقيق ويجنب مزالق المغامرين وعشاق الانتحار ارضاء لتصلب المواقف .

ـ الطلبة والدعوة الى الحوار : ان الطلبة يمثلون جزءا من كيان الامة لا يستهان به وان كانت الحياة الطالبية ـ نفسانيا ـ فترة تعتريها اسباب ومفاهيم للواقع معينة ، ومع ذلك فقد دعى الطلبة الى حوار لتنظيم حضورهم القومى ضمن منظمتهم الشرعية التى بتدعيمهم لها يمكن لهم ان يعبروا عن آرائهم وشواغلهم ... وكل خروج عن هذا الاطار يعرض الطلبة الى متاهات غامضة المصير .. ذلك ان الوعى القومى قد لا يوافقهم على تصوراتهم .. ويعرضهم هذا الموقف كذلك الى ضرورة الوقوف عند عتبة المصلحة العامة فى الفترات الصعبة .. ويتحمل المجتمع تبعات الاجهاض .

ـ اطلاق سراح المساجين السياسيين والنقابيين : انها بادرة تحققت بعد جهد واجهاد من انصار الحوار والديمقراطية . وهذه الحادثة من شأنها ان تثبت دعائم تقاليد المسؤولية السياسية سواء كان من جانب الحكومة او من جانب الوطنيين .

ـ الضغط على ارتفاع الاسعار : اثبتت الحكومة فى مناسبات انها بامكانها الضغط على ارتفاع الاسعار ويتم لها ذلك بسهولة وعوضت فراغ انسحاب بعض الانتاج بمستورد اجبر سماسرة الربح الاقصى على العودة الى السوق

والانسجام مع الوضع السائد ... وينتظر من الحكومة ان تعيد النظر فى تنظيم وساطات قطاعات الانتاج والتوزيع ، هذا الجدار الذى يحول دائما دون استمرار الانسجام ما بين الشعب والدولة .. وينتظر منها كذلك ان تستمر على هذا العهد لتحمى القدرة الشرائية للمواطن .

ـ **حرية الصحافة** : مثل هذه المبادرة خاصة صدور جريدة « المستقبل » لمجموع الديمقراطيين الاشتراكيين .. وما حرية الصحافة المسؤولة الا مبدأ اساسى لا بد من توفيره لمراقبة مسيرة المجتمع التى تعود الى كل التونسيين مهما كانت اتجاهاتهم .

هذه ابرز علامات المرحلة الراهنة ولا يعنى ذلك ان الوضع لا يحتاج الى اصلاحات اخرى بل ان متطلبات التنمية الشاملة متعددة ومتنوعة .

العلامات المضادة

العلامات المضادة التى تروم ضرب المرحلة الراهنة متعددة .. مباشرة وغير مباشرة .. ابرز عناصرها اعداء التحول أنفسهم .. اولئك الذين يرغبون فى الابقاء على نفوذهم وسيطرتهم .. وهم يجهدون كل الجهد للاطاحة بالتحول الشمولى .. وهؤلاء يسعون الى مزيد ارتفاع الاسعار والمحافظة على مصالحهم .. ومن العلامات المضادة كذلك مخططات المثاليين والقفزويين الذين وراء التلويح برغبة انشاء عدالة اجتماعية اكثر انصافا وهى غاية نبيلة ـ لا يتوقعون متاهات نواياهم وما يمكن ان تؤدى اليه من اخطار .

ولا بد ان نشير ايضا الى الضغوط الخارجية ، تلك الضغوط التى تسعى الى التحالف وتوسيع الرقعة استعدادا للتطاحنات الايديلوجية والتوسع الترابى ... وهذا العنصر أخطر من كل العناصر الاخرى الا ان الحماية الاساسية منه هو الدعم الداخلى فى جميع المستويات واقامة الجبهة الوطنية التى تتحطم عند اقدامها نوايا اعداء الوطن ...

لهذه الاسباب فان على المثقف التونسى ، فى كل المستويات والمواقع ، ان يتمسك بالمرحلة الراهنة ويسعى الى تخفيف حدة التآمر حولها تجنبا للتراجع الذى يحطم السبل المؤدية الى الديمقراطية الحق ... وان لا يسقط تحت الدعوات الهادفة الى ابقاء دار لقمان على حالها عوض الانفراج والتقدم خطوات نحو الغد الافضل .

يوسف الخناشي

رحلة في جوف طائر..

شعر: رجب بن مهني

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

طيرٌ .. ويحملنا لأسفار معه   فوق السحاب مقامه ما أروعه !
من معدن الفولاذ جسمٌ هائلٌ   شقّ الفضاء لكي يخوض المعمعه
ومضى بسرعته العجيبة صاخبا   أصواته ارتفعت بجوّه مفزعه
كنّا بجوفه لا نهابُ هديره   قد عوّد الإنسان حلمه والدعه
حين ارتفعنا هذه الأرض التي   كنّا بها رفعتْ يديْن مودّعه
أشجارُها صارت على بعد ترى   خضراء فوق أديمها متربّعه
وإلى الجبال رُؤوسنا انخفضت نرى   قمما كأنفٍ همّها أن ترفعه
أو أنّها صارت كقزم تحتنا   للطائر الجبّارِ يرفعُ إصبعه
والنّاس في جوف السّماء نفوسُهم   ما حيّرتْها في السّماء الزوبعه
غاياتنا القصوى تصيرُ قريبة   فالسّعيُ ظلّ بجوّنا ما أسرعه
جاءت مضيّفةٌ بلطفٍ نحونا   وأتتْ بأكْلاتٍ إلينا مشبعه
كرَمُ الضيافةِ في الفضاء فضيلةٌ   فالجود يؤتي نبله كي يصنعه
والبُوقُ يخبرُ كلّ حين معلنا   عن كلّ شوطٍ آملاً أنْ نقطعه
لم نمضِ إلاّ ساعةٌ وإذا بنا   نرنو لتونس والبيوتِ الناصعه
تلك الشّوارعُ والازقّة ، كمْ بدتْ   تلك المدينة تحتنا متفرّعه !

ابن خلدون والتشكيلة الاجتماعية الاقتصادية المغربية في عهد ما قبل الاستعمار

بقلم : خالد المنوبي

1 ـ تقديـــــــم :

يهدف هذا البحث الى المساهمة فى ضبط طبيعـة التشكيلة الاجتماعيـة ـ الاقتصادية (1) المغربية خلال القرون السابقة للعدوان الاستعمارى الذى امتد بداية من اوائل القرن التاسع عشـــر .

ان اهمية المسألة لا تحتاج الى بيان ذلك انه لا يمكن فهم الظاهرة الحالية لانتقال الاطراف (2) نحو الراسمالية دون بلورة الافكار المتعلقـة ببنى (3) التشكيلية ما قبل الرأسمالية ابان ادماجها الاممى . هذا وتجدر الاشارة الى ان الدراسات المرتبة الخاصة بهاته الجهة قليلة ان لم تكن معدومة علاوة على كون المسألة لا تبدو قريبة من الفصل حاليا .

ولن نغفل عن التعرض ، ولو بايجاز الى مختلف ما وقع التعبير عنـه من اقـوال فـى الموضـوع .

ويفضى تحليل التشكيلات الاجتماعية الذى يتمثل فى فض مشكلات خلق فائض (4) تلك التشكيلة وتداوله الى القاء السؤالين الاتيين :

---

(1) التشكيلة الاجتماعية الاقتصادية = formation socio-économique
نمط الانتاج = mode de production

(2) انتقـال الاطـراف = transition de la périphérie

(3) بنـى : structures ، بناء فوقى superstructure بنـاء تحتى = infrastructure

(4) فائض = surplus

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ــ من يسند وسائل الانتاج والمنتوج ؟

ــ كيف يقع هذا الاسناد ؟

والجواب عن هذين السؤالين بخصوص مجتمع ما يبرز علاقات الانتاج وبالتالى انماط هذا الاخير مما يسمح بتعريف طبقات ومجموعات ذلك المجتمع . لكن ذلك لا يكفى لتخصيص البنى الاجتماعية اذ لا بد من الاهتداء الى نمط الانتاج المهيمن وارتباط بقية الانماط به . كما ان تدقيق العلائق الموجودة بين البناء التحتى (المحفل الاقتصادى) (5) والبناء الفوقى (المحفل السياسى ــ المذهبى) ضرورة لاستحالة قصر المجتمع على بنائه التحتى اى على قاعدته المادية .

بيد انه لا يجب ان يغيب عن الناظر ان القاعدة المادية تحدد فى نهاية المطاف أوجه الحياة الاجتماعية الاخرى وبخاصة تقدم الحضارة حسبما يكيفه حجم الفائض النسبى ، وهو ما يدفع الدارس الى بذل عناية خاصة قصد تحديد مستوى نماء القوى الانتاجية (6) فى ذلك المجتمع .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

2 ــ الاختلافات الراهنة فى النظر

ذهب عدة مؤلفين من ذوى التكوين الاكاديمى (7) الى الحديث عن الاقطاعية بخصوص العالم الاسلامى فى العصر الوسيط ولا يعتمد هذا المذهب الماركسى لنمط الانتاج وانما سببه بعض من المجانسات الظاهرية المتعلقة بالبناء الفوقى مع العصر الوسيط الاوربى . ولا يختلف عن هذا الراى « مختصر الاقتصاد السياسى » (8) الذى يعرف الطقوس الماركسية الستالينية فى الاتحاد السوفياتى وفى البلدان التى اتبعت القيادة السوفياتية اذ تراه يرجع العالم الاسلامى الكلاسيكى بوضوح الى نمط

---

(5) المحفل الاقتصادى = l'instance économique

محفل سياسى مذهبى = instance politico-idéologique

(6) القوى الانتاجية = forces productives

(7) امثال غانياج ومؤلفى مختصرات التاريخ المدرسية

(8) وكذلك ج . ستالين . « المادية الجدلية والمادية التاريخية » 1936 .

والاقطاعية هنا هى = féodalisme

الانتاج الاقطاعي ولو مع اقرار بعض الخصوصيات ، ومنشأ وجهة النظر هذه الاطروحة القائلة بان القنية (9) هو نمط الانتاج الاساسى الذى يخلف العبودية (10) ويسبق الرأسمالية وجوبا . ولا يخفى ابتعاد هذا الفهم عن الجدلية لانبثاقه من نظرة للتطور افرطت فى اضفاء الصبغة الخطية والميكانية عليه ومخالفته لوقائع التاريخ .

وحاول عدد من المفكرين الماركسيين الاقتراب من الواقع ومن الفكر الماركسى ذاته باحلال « نمط الانتاج الآسيوى » الوارد عند ماركس فى شتى المناسبات والمتصل بالمجموعات القروية الهندية محل « الاقطاعية الشرقية » والسؤال المطروح هو :

هل فى الامكان الحديث عن « تشكيلة اجتماعية ـ اقتصادية اسيوية » لتخصيص العالم الاسلامى ؟

ان بعض كتابات ماركس تبدو وكأنها تفضى لهذا المفهوم الذى حاول ابرازه غودلييه لكن ماكسيم رودنسن يخالف هذا الراى (11) فهو وان اقر امكانية الكشف عن نظم انتاج من جنس مجموعات المساواة الانعزالية الفلاحية الهندية يقترح تسميتها « بنمط انتاج المجموعات البدائية » الا انه يرى ان تشكيلة يتمثل كنهها فى احتجاز جزء من فائض الانتاج » فى هاته المجموعات من قبل مجموعة عليا « هى الدولة التى تتولى فى مقابل ذلك تأمين اسباب معلومة للانتاج (اشغال كبرى ، دفاع) انما هى تصور يكاد لا يفيد التخصيص لانتمائه الى فصيلة التعميمات المفرطة فى الشمول .

ويذهب رودنسن الى حد استحالة تعيين نمط الانتاج المهيمن فى التشكيلات الاجتماعية اذا ما استثنينا من هاته الاخيرة التى تسيطر فيها انماط العبودية والاقطاعية والراسمالية .

ومحصل القول عندئذ ان لاوجود لتشكيلات اجتماعية مستقرة فيما عدا مواطن العبودية والاقطاعية والرأسمالية اى فيما عدا اوربا واليابان . اما

(9) قن (ج اقنان) = serf (s)
(10) عبودية = esclavage
(11) فى كتابه الاسلام والراسمالية

النظام الاقتصادى الذى انبنى عليه المجتمع الاسلامى فى العصر الوسيط فقد « تغير تبعا للازمنة والامكنة » بحسب الجهات وبحسب الارياف والمدن . ويبدو هذا الموقف قليل الجدلية لتقاعسه عن تفسير تلك الفروق الجغرافية والفروق فى التطور الزمنى .

ومهما يكن من امر فان العديد من المؤلفين مثل ايف لاكوست يرون ان نمط الانتاج الاسيوى ذا الطابع الخراجى (12) كان حسب كل احتمال النمط المهيمن فى كل انحاء العالم تقريبا فيما عدا اوربا واليابان . غير ان آخرين مع عدم القدح بصفة اساسية فى وجهة النظر هذه لم يستصيغوا التسمية وفضلوا كسمير امين الحديث عن « تشكيلات شرقية وافريقية » مع اضفاء محتوى عام للعبارة لهذا الصنف كما يتبادر للناظر .

3 ـ الاطار الفضائى والزمنى :

يتعين قبل التوغل فى الموضوع الاجابة بادىء ذى بدء عن السؤال التالى :

هل يجوز الحديث عن « تشكيلة اجتماعية مغربية فى عهد ما قبل الاستعمار » ؟ وان كان الرد بالايجاب ففى اية حقبة من حقب التاريخ ؟

تجدر الاشارة اولا الى ان الحدود السياسية الراهنة حديثة نسبيا وهى لا لا تمت على كل حال الى اى تميز اجتماعى ـ اقتصادى اساسى سواء اكان ذلك متعلقا بالاراضى الخاضعة للاتراك العثمانيين (طرابلس ، تونس ، قسنطينة ، الجزائر) او للعلويين حيث تغلب فيها على اختلاف الاجناس نفس البنى الاجتماعية الاصلية المقامة على القبيلة وما تمثله فى اذهان اعضائها من عصبية فى حدود القرابة الدموية .

كما ان الوسائل الفنية هى عينها وكذلك الامر بالنسبة لطرق الزراعة ولانظمة الاستغلال ولتنظيم الحرف . فيؤول بنا القول عندئذ الى تلك الوحدة العميقة للمجتمع المغربى الممتد جغرافيا على اراضى دول ليبيا وتونس والجزائر والمغرب وموريتانيا الحالية . ليست هاته الوحدة ظاهرة حديثة العهد فالمجتمع المغربى عموما كما قال مصطفى كريم « مقام على بنى دائمة

---

(12) خراجى = tributaire

اكل عليها الدهر وشرب » (13) الا اننا سنترك فترة ما قبل الاسلام جانبا لسببين على الاقل وهما : الدور الاساسي الذي لعبه نمط الانتاج العبودي في كنف الامبراطورية الرومانية والتجديد الاسلامي لمذهب المجتمع .

وسيكون ما سنتقدم به صالحا وقتئذ للقرون التي تلت تمكن الفتح الاسلامي مع اعتنائنا بشكل اخص بالفترة الموالية للمد الهلالي في القرن الحادي عشر للمسيح ونريد الاشارة في هذا الصدد الى اننا نشاطر تماما اطروحة لاكوست القائلة بان « الغزو العربي » مجرد وهم اختلق للدلالة على هجرة بني هلال وبني سليم واندماجهم في المجتمع المغربي فالقبائل العربية لا تختلف اختلافا جذريا عن مثيلاتها الرحل البربرية .

وبالرغم من التخريب الحاصل منها فان قدومها يمكن اعتباره حسب كل احتمال بمثابة غنم بشرى ذى بال بالنظر الى حالة نمو القوى الانتاجية وقتئذ .

ولا تفوتنا الملاحظة بان المؤلف لم يكتسب تكوين المؤرخين وانما ديدنه ببساطة انتهاج المادية الجدلية التي تبدو له اكثر المناهج اعانة على ادراك بنى المجتمع الحالي وحركيته وهو في ذلك سيحاول استغلال مصدر مباشر تركه لنا احد من أشد المعاصرين نفوذا الى اللب الا وهو عبد الرحمان ابن خلدون .

ان قيمة الاسهام الخلدوني لا تحتاج الى دليل حتى ان سمير امين ذهب الى القول بان الكثير من المؤرخين وعلماء الاجتماع العرب المعاصرين لهم ان يحسدوا ابن خلدون على ما بلغه تحليله لطبيعة التشكيلات الاجتماعية المغربية في العصر الوسيط من ذكاء ودقة . وابرز ايف لاكوست من ناحيته العديد من التحاليل ذات الطابع المادي الجدلي عند ابن خلدون . وبديهي انه يتعذر على ابن خلدون ان يكون ماديا جدليا في عصره لكن تحاليله لحقائق زمانه كانت ثاقبة لدرجة انه في الامكان القيام بقراءة مادية جدلية لاثاره وبخاصة المقدمة دونما تحريف لفكر المؤلف .

---

(13) في كتابه الوارد في المراجع اسفله

4 ـ ملكيــة الارض :

تبقى الارض فيما عدا الارباح التجارية المصدر الرئيسى للفائض فى كل انماط الانتاج ما قبل الرأسمالية وبالتالى ما قبـل الصنـاعية لـذلك فمـن الضرورى تحديد علاقة ملكية الارض التى تخص النظام الاقتصادى .

الارض فى الشريعة القرآنيـة ارض اللـه فى المقـام الاول وارض الامـة الاسلامية فى المقام الثانى وامير المؤمنين بصفته رئيسا لهاته الامة يمارس تبعا لذلك حق الملكية الاسمى علـى كل ارض فـى بلاد الاسلام كما اتـت الشريعة بمبدا آخر يرجع الارض لمن يحييها .

وبديهى ان هذا الاحياء رهين الظروف الايكولوجية ووسائل الانتاج غيـر الارض وحوالة الامور السياسية والعسكريـة الخ .. فرى الاراضى بواسطة المياه النهرية أو العيون الارتوازية يفضى الى احياء اعمر من اراضى الحبـوب بالسباسب نصف القاحلـة فتكون حقوق الاستغلال فـى الحالة الاولى اوسع مما هى فـى الحالـة الثانيـة .

ومهما يكن من أمر فحتى ملكية الاراضى فيمناطق الرى أو حول المدن تكسب حقوقا لا يجوز اعتبارها قرينة حقوق الحرقة المنجرة عن الملكيـة فى التشريـع الرومانى اضف الى ذلك ان مناطق الملكية الفردية محدودة جغرافيا وليست لهـا الا مكانـــة هامشيـة .

http://Archivebeta.Sakhrit.com

فما هى اكثر انماط تملك الارض شيوعـــا ؟

فى الامكان حصرها فــى ثلاث :

ا) أراضـــى الاميـــر (او السلطـــان) :

عادة ما يتولى مباشرتها خمـاسون وهم الذين يتلقون من الـدولة ادوات الزرع وبذوره ويتركون لهـا اربعة اخماس المحصول بحيث لا يحتفظون الا بالضرورى من القوت عموماً (وهو الخمس) وتحمل القبائل المجاورة بشكل نادر علـى السخرة والنتيجـة ان الدولـة هى التى تسند وسائل الانتـاج وتتصرف فى كلية المنتوج الصافى او جله فى الاقـل .

ب) اراضـــى الاقطـــاع :

يمكن للاميـر بوصفه المالك السامـى للارض كمـا تقدم ان يقطع اراضى الى كبار دولته فيزرعونها بواسطة فلاحين يستزبنونهم :

- الى لزامين افراد مقابل عائدات فى شكل بضاعة فى عموم الحالات .
- او الى قبائل تقبل تقديم شواهد الولاء للامير ومده بالعسكر وفى مقابل ذلك تطالب باداء جزء من المنتوج اخف مما تدفعه بقية القبائل .

وقد تنحصر هاته الاقطاعات على حق استخلاص الجباية لحساب الدولة مع مقابل بطبيعة الحال ويفقد المالك الاسمى فى اراضى الاقطاع ممارسة حق اسناد وسائل الانتاج والمنتوج لكنه بحكم عين ذلك الحق يحافظ على حقه بصفة تضعف حول المالكين الفعليين عند اسناد وسائل الانتاج اذ تتعذر احالتها مثلا .

وذهب بعض المؤلفين كبونسييه الى اعتبار هاته العلاقات من صنف علائق الانتاج الاقطاعية ولا بد من الاشارة فى هذا الصدد الى ان اطلاق كلمة اقطاعى على نمط الانتاج المعروف يعود الى مثل ما ذهب اليه بونسييه فى حين ان نفس هؤلاء المؤلفين يعترفون بكون هاته الاقطاعات شخصية (فيما عدا القبائل) ومعرضة للزوال والالغاء وتستدعى التجديد كلما تولى امير جديد فحقوق المنتفعين بالاقطاع تختلف عن حقوق المالك الخاص زيادة على حد حقوق المنتصبين لها . لذلك فليس من الصحيح التكلم عن علائق اقطاعية بالمعنى العصرى المتعارف للكلمة حتى مع اعتبار ظهور نزعات الى الاقطاعية (فى معناها المتعارف) فى فترات الوهن الواضح للحكم المركزى . ولا يمنع ذلك كما سنرى اسناد وسائل الانتاج والمنتوج فى الحدود التى اسلفنا .

ج) الاراضى القبلية او القروية :

يمكن ان نعرف القبيلة على غرار تعريف نوشى (14) « يشعر اعضاء القبيلة بأنفسهم مشدودين الى بعضهم بعضا ذلك ان لهم ترابا معينا يشتركون فيه ويتولون القيام بانشطتهم داخله من مرعى ومن فلح متجول

---

(14) فى كتابه = Nouschi (André) Espaces et vie politique au Maghreb

او ثابت ومن اعشاب دون تخطى حدود ذلك التراب اللهم عند الغزوات والحروب وما شاكلها من الاسباب الملحة » .

واذ تمارس ملكية الارض بحسب الوسط الايكولوجي فانه من الجائز على وجه العموم اعتبار الملكية جماعية على مستوى اسناد وسائل الانتاج وعائليه على مستوى اسناد المنتوج . وليست هناك ملكية خاصة بتاتا لعدم حرمان العمال من وسائل الانتاج الا فيما ندر .

وهكذا يكون التنظيم جماعيا انعزاليا او يكاد محتويا على الاغلبية الساحقة من السكان . قال ابن خلدون (ص 643) :

« ان المدن والامصار بافريقية والمغرب قليلة والسبب فى ذلك ان هذه الاقطار كانت للبربر منذ آلاف السنين قبل الاسلام وكان عمرانها كلّه بدويا ، ولم تستمر فيهم الحضارة حتى تستكمل احوالها ، والدول التى ملكتهم من الافرنجة والعرب لم يطل امد ملكهم فيهم حتى ترسخ الحضارة منيا ، فلم تزل عوائد البداوة وشؤونها فكانوا اليها اقرب فلم تكثر مبانيهم وأيضا فالصنائع بعيدة عن البربر لانهم اعرق فى البدو والصنائع من توابع الحضارة . وانما تتم المباني بها فلا بد من الحذق فى تعلمها . فلما لم يكن للبربر انتحال لها ، لم يكن لهم تشوق الى المباني فضلا عن المدن وايضا فهم اهل عصبيات وانساب لا يخلو عن ذلك جمع منهم ، والانساب والعصبية اجنح الى البدو وانما يدعو الى المدن الدعة والسكون ويصير ساكنها عيالا على حاميتها . فتجد اهل البدو لذلك يستنكفون عن سكنى المدينة او الاقامة بها . ولا يدعو الى ذلك الا الترف والغنى وقليل ما هو فى الناس فلذلك كان عمران افريقية والمغرب كله او اكثره بدويا واهل خيام وظواعن وقياطن » .

— يتبع —

خالد المنوبي

لحبيبتنا الأولى .. سنغني ..

شعر : أبي وجدان

الصادق شرف

① **أغنية أولى الى قرطاج :**

شادية الصيف ...
ساقتنا كالريح على كتف الأمواج فكانت قرطاج ..
وقفت فينا ما بين الربوة والسفح
تمد شرايين الضوء لنا خيط زجاج ..
اقطع يا متوج الضوء الخيط كما
يقطع حد السكين الأوداج ..
اقطعه إن لم يصبح في قرطاج لنا الدرب
ونحن على الدرب الافواج
اقطعه ان لم تصبح قرطاج الجزر لنا
ولها نحن المد
وعشق الانسان هو الأمواج .
ردينا للعشق الانسانيّ الدائم يا قرطاج .
تتحول فينا كل الاضداد الى أزواج ..
صبينا في الفرح الاتي
من كوة هذا الحزن المتوزع فوق شواطئنا كطيور البجع .
ما هاج الطير ولكنه حاول أن يخرج منا
ابيض معنا
من طوق أحمر كمحيط الوجع ..

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

لكنا لنْ نخرجَ منا ..
ما لم ننبتْ وجعا انسانيًّا ..
فرحا انسانيا ..
يمتدّ من الضّيق الى المتسعِ .
ليقومَ نياطا يربط بين الساق المقطوعهْ ..
والزند الممنوعَـهْ ..
بين الباثِّ المتلقي منْ عند المستمعِ .
آهٍ .. مِنْ وجعي ! !   آهٍ .. من أوجاعك يا مستمعي !
الوجع الاتي ..
من صلب الفرح الاتي ..
سيمدّ لنا يا اخوَاني يا اخوَاتي ..
نهجا اخر من اخرِ شارعنا حتى أولهِ ..
ليولّدَ عمق البحر من الوادي ..
ليولد انسانا اخر من بين اليأس الرائح والأمل الغادي ..
إنّ مواليد اليأس همُ اولادك أنت وأوْلادي . !
ان مواليدَ اليأس همُ أولادك انت وأولادي . !
نبعان هما انبجسا فينا منْ جبل الحبّ الصانع للاحفاد .
يا حبا أرّخنا بشباب يأخذ منا ..
ليضيفَ وجودًا اخر لحبيباتِ بلادي ..
يا كلّ حبيباتي .. تونس ستظلّ حبيبتَنا الاولى ..
... تونس ستظلّ حبيبتنا الاولى ..
ويظلّ المغرب .. سيظلّ حبيبتنا الثانيةَ ، الحبّ بلا تجسيدٍ
كالروح بغير هيُولى ..
ويظلّ حبيبتَنا الثالثة الوطنُ العربيُّ ولو كان به ..

كلّ البعض مِنَ المعصم مغلـولا ..
إنْ قلتُ لـكمْ : سيظلّ حبيبتنا الرابعةَ الانسانُ .. فردوا :
كـلا .. كـلا .. الانسان حبيبتنا الاولى ..
أخْطأنَا القَـوْلَ أيا وطني
فارْدُدْنَا لصواب الفعل فان القولَ بلا فعلٍ يبقى مشلولا
أخطأنا القول طويلا ..
اخطأنا الفعـلَ طويلا أطـولَ ..
كنا الفاعلَ فغـدَونا المفعـولا
زنـّدْنَا بصوابِ الفعـلِ فقـدْ غنّينا
يا وطني غنّينا الاخطاء على الناس مواويـلا ..
غَنّيْنـا الناس على الأخطـاء
فلا أحـدٌ مِنْ نَاسِ الأخطاءِ
ولا أحـد منْ أخطاء الناس تحـرّكَ فينـا
للطـرح بـديـلا ..
يكفينـا ..
تخديرًا يا وطني الأكبرَ بمـواويل البنج .. ويكفينا
تبنيجــًا بليالي الإحـراجْ ..
أطلقْنا صوتا اخـر من حنجـرة العشق الانسانيّ الدائم في قرطاجْ ..
قرطاج الكوكب في المغرب ..
والمغرب ان جـاء فكلّ بيوتات الـدنيا ..
لضياء الكوكب ما زالت تحتاجْ ..
مِنْ كلّ فجاج الأرض تجـيءُ أراضي الكلّ ولا
واحـدةٌ منهـا الا
لهـا وفي القيـد فجـاجْ ..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ومجيءُ الأرْض من الغـربة اسـراءٌ
والعِشْقُ الانسَانِيُّ الدائِمُ في قرطاجَ هو المعراجُ ..

② أغنيـة ثـانية الى ضيـوف قرطـاج :

القادم من شوق الأمـس مع الشمـس يلقِّـح بالإخصابِ
سنابِل قرطاجْ ..
والوافدُ من شمس الثلج مع الموج يعاكس فينا دفق الأمواج .
فاذًا ما كنـا نحنُ على الـركح لـه الـدوْرَ ..
فـكيفَ نَـكونُ له نحنُ الإخـرَاجْ ! ؟
شـدّينا يا قرطاج الى العشـقِ الانسانيِّ فقط
حتى يتصالح فينا الذئبُ مع الشاةِ .. الليثُ معَ الارنب ..
والفأرُ مع القِـطْ ..
حتى يتساوى باعُ الحاكم تحتَ الشمس الكبرى
بذراع المحكومْ ..
حتى يستّل الظالمُ من بينَ شرايينـه شريانا
ويَخيط بـه جـرح المظلـومْ ..
شـدينِي منْ أنفِي يا باقـَـة فـلّ مختـومْ ..
شـدّينِي .. يبتدىء الليل القرطاجيُّ بفك الختم عن المشمومْ
فاذا الافاقُ ... الآفاقْ ...
ذكرى ... ونسائمُ تَهْزَأُ بالعشـاقْ
بصـوص الـوجـد الانـدلسِيِّ المهزُومْ ..
مهزُوم فينا هـذا الوجـدُ .. وفينا مهزُومْ ..
لـكنّ الصيفَ يظلّ سماوَاتٍ فِينَا ..
مفـروشات بنجوم تتحالمُ فِينا ..
ونجومُ الحلم عوالمُ وَهْمٍ حُبْلى بعوالم وهم فينا ..

والوهم محال إنْ يلدَ العالم فينا ..
هل يتنزَّل هذا العالمُ فينا
أم نحنُ له نسمو في مركبة الأملِ الحالمْ . ؟
يا املا ..لو تبقى تحلمُ وحدك .. وحدك تبقى انت هو النائمْ ..
استيقظ فالكلّ بلا استثناء في كمامات الضوء يهيم مع
الضوء الهائمْ ..
والساحر بالمسحور يهيمُ .. يهيمُ الغارقُ بالعائمْ ..
ما أغربَ هذا العالمَ . ! ما أغربَ هذَا العالمْ . !
كمْ يظلم نفسهُ ! مظلومٌ .. لكنّه لا يدري
أنه .. أنه ظالمْ ..

* * *

في كمامات الضوء غرقْنا ..
ما زلنا نغرقُ أكثرَ . أكثرَ في أحواض الموسيقى ..
ذاتِ الماء الأخضر .. يزرّق الماءُ يصيرُ رقيقا ..
الرقة . ! يا للرقّة !! من تحتِ الماء الرقّةُ ..
أوّاهُ سمعتُ صدى صوتِ مزّقها تمزيقاً . !
الرقة . ! ما أجملَ رقة هذا الماءِ ! ولكنْ ...
ضفدعة في الماءِ تنِقّ بداخلنا ..
وبخارجنا تحتدّ نقيقا ..
إنّا نرفض ماءَ الرقة أنْ يأخذَ فينا شكلَ الرّقِ ..
لنْ يأخذَ ماءُ الرّقةِ ايَّ الاشكالِ جميعا
الا شكل الدقّ
على بوّاباتِ الحقّ ..
يا دقاقً البنديرِ الزهوانيِ اذا لم ينفعك الدّقُّ ..

ARCHIVE
http://archivebeta.sakhrit.com

فعليك بشقّ البندير فقد ينفعك الشقُّ ..
المشقوق يقسمنا .. وينوّمنا المدقوق فلا فرق اذنْ ..
بين التقسيم وبين التنويم فبينهما قد طار الفرقُ ..
في الجوّ العصفور تقول جناحاه لنا :
ما صار سماءً الا من كانَ عَن الدنيا يَنْشَقُّ
ارتفعي ياأرض عن الدّنيَا ، حين الاطيار ترفرفُ لا تعشق
في الجوّ التصفيقا .
بل تعشقُ في الجوّ الرحبِ التحليقا ..

③ **اغنية ثالثة الى احرار قرطاج :**

الاستحمام الدائم في عطش الموسيقى ..
معشوق من كلّ الاطيارِ ... الاحرارْ..
مرفوض حينَ ازرقّ الماءُ ..
فرقّ ... فصارَ (رقيقا)
الحرية في قرطاج تؤسس فينا الاوكارْ
كلّ الاطيار ابتكروا وكرًا للحرية بالأحداق أحاطوا الأوكارْ ..
بالاحداق .. وفي وجه الحرّية ما احلى التحديقا ! ؟
وكرُ الحرّية ما زال طليقا .. ما زال طليقا ..
لنْ يتجهّمَ وكرُ الحرّية للاحرارْ .
سيظلّ .. وما ظلّ لغير الاحرار عشيقا ..
لنْ يتجهّمَ وكركِ يا الحرية ما دامتْ روح الاطيارْ
لا تقبلُ في الأقفاص التضييقا ...
أطيارُ الحرية صهوات للصوت .. سروج للصورهْ ..
إن تركبْها الأبواق المأجورةُ .. والصحفُ المأجورهْ . !
فالطيران الى أعلى يسقط ريشا قد لُصّقَ تلصِيقا ..

ـ يتبـع ـ

كلمات منثورة

بقلم النثر المحدود

قضية الانسان الكبرى أبد الدهر يتضاءل دونها كل شيء ويعود اليها ويناط بها كل شيء : الله سبحانه تقدس سره وجلاله . وان مطلب الانسان الاسمى لهو الحضور اليه والاقتراب من نوره والفناء فى حقيقته فلا انسان ولا انسانية مطلقا الا بالله .

* * *

الجمال والظرف فى النساء أكثر ، فالطبيعة أرحم بالمرأة من أن تبخس حظها من الحسن ، أو تشوه خلقتها ، فتجردها من أخص مزاياها ، وتحرمها حقها فى الحياة وخلق الحياة .

* * *

قد يتسامى العمل الدائب الصبور.. صمودا واصرارا.. رضا وشكرا فاذا هو ، على بساطته وتواضعه ، ضرب من الايمان .. عبادة حق من صميم العبادة وأشرفها .

* * *

فتنة المال ! ليس كمثله شيء يغرى بالشهوات يدفع اليها قهرا .. يفك القيود .. يبطل الموانع .. يوهم بالقدرة على كل شيء .

* * *

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حين يخلو الانسان الى عقله ، وما أعسر أن تتاح له اليوم مثل هذه الخلوة ! يتجهمه الحاضر ويكشر فى وجهه المستقبل ، وكأن ليس فى وسعه الا أن ينتظر النهاية ، شكا فى حكمة الانسان وفى قدرته على تجنب المأساة .

* * *

من أطرف ما ترى من صور اقتران الاصالة بالمعاصرة فتى وفتاة من «الاخوان» يتمشيان على الشاطىء ، وهو يمسك يدها فى حنان وشهية ظاهرة ، على الرغم من سيمى الاحترام والزمانة .

* * *

انك مضطر لكى تعايش الناس ، أحببت أم كرهت ، أن تراهم أفضل مما هم .. فوق ما فى نفسك ، دون ما فى أنفسهم .

* * *

ليكن كل عمل لك هو الأول والآخر جدة ونضارة .. فرحا بالجهد وانتشاء.. حبا للاجادة وتوقا الى الكمال !

* * *

أنا عند زوجتى ، بحمد الله ، من أحمق عباد الله .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هَلْ يُفيدُ العِتابُ ؟

شعر : محمد جواد الغبّان
(العراق)

لِمَ أعاتبكَ .. هل يُفيد العتابُ ..   بعدما ذابَ في هواكَ الشّبابُ
لا تسلني عن حبِّنا .. أين أمسى   فجوابي : أنْ ليسَ عندي جوابُ
ذكرياتٌ .. تباعدَتْ ، وتنـاءتْ   عن حياتي ، فما لهنّ اقتـرابُ
أيَّ حُبٍّ .. ذاكَ الذي قد ظننـا   هُ ربيعـاً ، فعادَ وهو سـرابُ
أيَّ حُبٍ .. ذاكَ الذي كان فيـه   لخداعِ الهوى بسمعي انسيـابُ
إذ تصوغُ الألفاظ لحنـاً رَقيقـاً   ينتشي في سماعـه الأحبـابُ
كـانَ يملي دنيـايَ بـاقات فُلٍّ   «كلّ يوم» حديثك الجَـذّابُ
كان خمراً .. به انتشينا ، فـراحت   معنا تنتشي بـه الأكـوابُ
وغفونا على جنـانٍ من الأحـلام ..   تزهـو بها الأمـاني العِـذابُ
وبنينا للأمنيـاتِ قصـوراً   شمختْ في الخيالِ منها القبابُ
وغـرسنا للحبِ فيهـا زهـوراً   الروابي فاحتْ بـه والشعـابُ
وترامى بعـالم الوهـم فـردو   س هوانا ، فالسوحُ منه رِحـابُ
وإذا بي لمّـا تيقظتُ أحيـا   ذلك الحبّ ، وهـو جَدبٌ يبـابُ
وإذا بي أرى جَنـائنَ حـبّي   وقصور الأحـلام ، وهي خرابُ
واذا بالمنى تعـودُ هبـاءً   وبرغمي تموتُ مني الرغـابُ
ملأ الأرتيابُ قلبي .. وهل يحيا   غرامٌ يشوبـه الإرتيـابُ ؟
حُبُّنـا راحَ لن يعود .. وهـل   يرجى لشيءٍ بعد المماتِ إيـابْ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

خلتني أحتسي بــه كــأس شهد فاذا الكــأس وهي سم وصابُ
قد تكشفتَ لي ..ومهما يطول الكذبُ .. لا بــدَّ يُــكشفُ الــكذّابُ
فضحتك الأيــام حتى تلاشــى كلُ زيفٍ ، وانشقَّ عنك الحجابُ
وخبرناكَ لم يَعُدْ يخدعُ النفــسَ طــلاءٌ ، ومنظــرٌ خــلاّبُ
ليسَ حُبــًا أنْ يُنشــدَ الغــزَلُ الحلوُ ، لتغرى بــه الغواني الكعابُ

* * *

إنما الحبُ تضحيــاتٌ وصــدقٌ فيه يُستعذبُ الأذى والعــذابُ
يا كتابــًا قرأتُ فيه سطور الحبِ زيفــًا ، فبئس ذاكَ الــكتــابُ
أينَ ذاكَ الخشوع في كعبــة الحبِ ، كما ضمَّ عــابدًا محــرابُ
أينَ تلك الوعودُ كيف تلاشتْ.. ؟ أكذا الحبُ خدعــةٌ وكــذابُ ؟
كُفَّ عني ، وعن خداعي ، فلو كانتْ حديدًا لــذابت الأعصـــابُ
قد تحمّلْتُ مــن عذابِكَ ما لــم يستطعْ بثّــه إليكَ خطــابُ
سببٌ واحدٌ لهجرِكَ يكــفي كيف بي حين تكثر الأسبــابُ ؟
أنا أوصدتُ بابَ قلبي ، وبعدَ الآنَ هيهــاتَ تُفتَحُ الأبــوابُ

* * *

أيها العاشقونَ : إنَّ طريقَ الحبِّ وعرٌ .. فحاذروا ، وارتــابــوا
لا تظنوا الغرامَ جنّةَ عــــدن ظلّلَتْها الكرومُ والأعنــابُ
لا تظنــوه راحةً .. إنما الحبُّ همــومٌ ثمــارها الأتعـــاب
آه.. من لوعةِ الغرامِ.. وهل يُطفى بــآه من وجد قلبي التهــابُ..؟
فالهوى جمــرةٌ بهــا يتلظّـــى كَبِدٌ مُوجَعٌ ، وقلبُ مُذابُ
وسهــادٌ .. تثيــرهُ ذكريــاتٌ وشجونٌ ، ووحشة ، واكتئــابُ

محمد جواد الغبان
(العــراق)

http://Archivebeta.Sakhrit.com

دور ابن أبي الضياف في ابراز الشخصية التونسية

بقلم : د. الهادي حموده الغربي

ـ 2 ـ (*)

② واذا كان المناخ له تأثيره فى تكييف طبع البشر على حد رأى أبن خلدون(*) فان هذه البيئة التونسية المغربية بمتوسطها واطلسها خلق فيها شخصية قوية معتزة بذاتها متعالية بكبريائها ولئن تغلب الاسلام دينا وهو فيض مشرقى فلأنه اصفى الاديان وأكملها على انها أبت ان تتلقاه الا فى انصع مظاهره وفى منبع صفائه الاول وهو المذهب الملكى القائم على الكتاب والسنة وحتى لما جاء مرض التوزع المذهبى من الشرق لم تلبث ان لفظته ولم تقبل غير مذهب الامام مالك سنة لها ومنهاجا وكان الذى قام بهذا التطهير هو الملك التونسى المعز بن باديس الصنهاجي حيث حمل الناس على مذهب الامام مالك بن أنس رضى الله عنه وقطع ما عداه وكانت بافريقيا مذاهب الصفرية والشيعة والاباضية والنكارية وكان بها من مذاهب أهل السنة مذهب الامام الاعظم أبى حنيفية النعمان (14) ، ومن المرجح ان ميل المعز الصنهاجي لمذهب مالك لانه المذهب الذى تتلمذ فيه الافارقة عن الامام وتلاميذه فالافريقى لا يقبل الا الافريقى لا تعصبا ولكن شخصية واعتدادا وان الشرف شيء وافريقيا من بعض الوجوه أيضا شيء آخر ، ولا يمكن لحاكم فى تونس الافريقية ان يفلح ما لم يكن من طينة أرضها ولادة اما الدخيل فسوف يبقى عضوا مرفوضا بعيدا عن مشاعرهم القومية ومثلهم المنشودة ، ولو كان الامير « من أهل افريقيا ما ضرب مثل البهلول ولولا فضله ودينه لجرت الدماء انهارا » (15) وفيما قرره صاحب الاتحاف إشارة ذكية الى ان الافارقة لا يفهمهم الا من تربى فى تربتهم وهم من

(*) تابع لما نشر فى « الفكر » : ع 8 ـ س 26 ـ ماى 1981 .

(14) المصدر نفسه 1 / 8 .

(15) المصدر نفسه 1 / 103 .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أجل ذلك لا يقبلون أجنبيا يتولى أمرهم « وهذا طبيعي في البشر خصوصا أهل افريقيا فان نفوسهم تسكن الى الواحد منهم نشأ في أرضهم ولو من الموالي – ومولى القوم منهم – مثلما لا تسكن لمثل عمر بن عبد العزيز اذا أتاهم من غير أرضهم » (16) .

وهذا الرأي المقرر يؤكد بوضوح – في الاتحاف – قيمة المواطنة وان شخصية التونسي شخصية قوية تسكن الى من كان منها ولا تقبل التبعية لأحد مهما كان خطره حتى ولو كان مثالا للنزاهة والتقوى والصلاح لانها أمور ثانوية باعتبارها قيما قد لا تثبت والاهم منها المواطنة اذ بها السكينة والاستقرار والشهامة والاباء ، ومن هنا جاء موقف الرفض من زيادة الله الاغلبي ان يكون تبعا لغيره وهو أمير تونس الافريقية فكيف تسمح نفسه بأن يسلك سياسة تحط من شعوره القومي وتكون على حساب شخصية أمته ، فقد جاء في الاتحاف ان الخليفة العباسي المأمون أرسل رسوله لزيادة الله الاغلبي « يأمره بالدعاء لعبد الله بن طاهر بن الحسين صاحب مصر فأنف لذلك زيادة الله ودعا رسول الخليفة ليلا وأجج نيرانا حوله ولما دخل عليه وجده ثائر الرأس محمر العينين ، فقال له زيادة الله : أبعد تقرر طاعتي وطاعة سلفي عند أمير المؤمنين يأمرني بالدعاء لعبد خزاعة ؟ لا يكون هذا أبدا ، وناوله كيسا به ألف دينار وكثيرها مضروب بأسماء بني ادريس العلويين وقد أهل هلال ملكهم يومئذ بالمغرب الاقصى فغض الخليفة ولم يراجعه في ذلك (17) .

وهكذا فان التبعية في مفهوم الشخصية التونسية مرفوضة أصلا والنار المؤججة دونها . وهذا الرفض المطلق له مؤيداته فالحاكم عند ابن أبي الضياف التونسي هو الذي يحمل هذه الروح القومية المؤججة للشخصية الوطنية ، لا ان يكون دخيلا في الدخلاء لانه في هذه الحالة لا يمكن أن يكون له ما يربطه بهذا غير الشهوة وبعكسه فان الامن والاستقرار هما أول المكاسب المنجرة عنه ، وعادة الملك المتأصل هو التنافس بين رجاله في المنشآت والتعمير وحب الوطن «والالتحام بأهله والتحبب الى الناس...» ومن أمثال عامة افريقيا – أي تونس قولهم : « **شر نعرفه خير من خير لا نعرفه** » (18) .

وهذا المثل الشعبي التونسي هو غاية الغايات في النفرة من قيادة الاجنبي ومعايشة من لايعرف وقبول الشر من ذويه أفضل ألف مرة من خير يأتي من

---

(16) المصدر نفسه 1 / 103 .
(17) المصدر نفسه 1 / 107 .
(18) المصدر نفسه 1 / 107 .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

أجنبي وهذا التصور الجاري في دماء التونسيين هو احساس بالشخصية القومية والاستغناء بما هو داخل الحدود أفضل مما يزحف من ورائها حتى ولو كان في الاول الموت وفي الثاني الحياة ولا شك ان في هذا المبدأ دليلا ساطعا على استقلالية التونسي وتمسكه الوطني من جهة وعلى ان التونسي لكثرة مصائبه المتأتية من العناصر الاجنبية اسلامية كانت أو غير اسلامية جعلته يفقد الثقة والتفاؤل في كل ما هو غريب عنه ووجد الثقة والتفاؤل والخير في من كان منه وان قل فان الوازع الوطني مهما ضعف والضمير القومي يمليان ضروبا من السياسة والسلوك لا يخرج من بعض وجوههما من الخير « حيث يرى الامير نفسه في داره ومسقط رأسه ومعهد شبابه وقاعدة فخره فيجتهد جهده في بقاء مآثره بمحل أمرته بخلاف الوارد من دار الخلافة فانه لا ينفك عن الحنين لمسقط رأسه ... اما ابن الوطن فهمه وطنه (19) : وفي الاتحاف أكبر دليل على صحة هذه النظرية وذلك حين يجد ويطلب الوطني من ابنائه العطاء والفداء فالمواطن : يتقدم للبذل بما عنده من نفيس الحياة وهي حياته وأما الدخيل عنه فيتخذ محجما ويلوذ هاربا محتجبا «فانظر أيها المعتبر الى حال هذا الباشا وقد أتى الجزائر جنديا من عامة الجند ، كان أبوه ببلدة شناقلعة يحترف بغسل الاموات وترقى بعصبيته الى منصب الباشا ولم يكن له في البلد منزل ورثه من آبيه ولا مقبرة لسلفه وذويه ، وما يقتضي حب الوطن من بنيه ولا سياسة يعرف بها نفسه والحال وما يقتضيه كيف لم يفكر أولا في عاقبته ولما ناداه المدفع أسرع الى إجابته وكان الامان على ماله أول آماله لانه دخل البلاد صفر اليدين وخرج منها فائزا بغنيمة النقدين ولو كان من ابناء ترابها ما سهل عليه ذلك ولا استهان بطرق المهالك ولذلك كانت بيوت الملك في البلدان لها التأثير النافع في مصلحة الحوزة والاحتفاظ عليها غالبا » (20) وهذا الرأى كما ترى مبنى على مزايا المواطنة وقيمة الشعور بالذات في سبيل الحماية والمناعة استنادا للتراث الثابت باعتباره رصيدا في صيانة الشخصية القومية وتأكيدها . ومن أجل هذا الاعتبار أحب الشعب التونسي المراديين في أول أمرهم لما لهم من الاصالة التونسية من بعض الوجوه فقد مال لهم أهل البلد لانهم نشأوا يتكلمون لغتها ويعرفون منازل أهلها وحسن آثارهم (21) . حتى اذا تخلوا عن رسالتهم ونالوا من الشخصية القومية بظلمهم وقسمة

---

(19) المصدر نفسه 1 / 109 .
(10) المصدر نفسه 3 / 168 .
(21) المصدر نفسه 2 / 30 .

بلاد الله وعباده كالسوائم المملوكة والاستعانة على ذلك بغير أهلها من المسلمين واباحة بلد الصحابة وتخريبها ... وقتل العلماء وتدمير الافاضل بتأمير الاراذل ... وتعذيب الصبيان لتعذيب آبائهم .. » (22) . وهم عند هذه الحد خرجوا عن مفهوم المسؤولية والمواطنة وانقلبوا الى أصولهم الاولى باعتبارهم أجانب عن هذه البلاد دخلوها مستغلين وكانهم أبوا أن يخرجوا عنها الا مدمرين وحين نتتبع مثل هذه النصوص فى الاتحاف نجد ان المواطنة تحصل الولادة والنشوء كما تحصل بالولاء على ان هذين الاعتبارين ليسا بشيء اذا صحبهما سوء الاضمار لهذا الشعب والكيد له فلذلك نوه صاحب الاتحاف بحسين بن علي باعتبار هذه الجوانب كلها ، كونه من أهل الايالة ملتحما فى جلدتهم متكلما بلغتهم وميلهم اليه لما فيه من الحلم والتسامح (23) ومن أجل انعدام تلك الخصال تخلى التونسيون عن عشى مصطفى المحاصر للحاضرة فقد ورد فى الاتحاف ان عربان المملكة لما علموا بأن المتولى بعده ـ أي إبراهيم الشريف ـ من أبناء المملكة يتكلم بلغتكم ، ملتحما فى جلدتهم حنت قلوبهم للوطن واظهروا ما بطن (24) وقد أصبحت هذه الملاحظات المتفرقة حول شخصية الحكم القومي ومتطلباته نظرية عامة ينادى بها صاحب الاتحاف ، ولا يتردد فى الاصداع بها والدعوة اليها ولا يتحرج فى ان يدعو بايات عصره الى تفهمها والعمل بها باعتبار ان الحاكم الناجح لا بد ان يكون مواطنا تونسيا منتميا ولا يتم له هذا حتى يكون عدلا مصلحا يعمل على إسعاد وطنه الا اذا كان له رصيد من التراث القومي يمازج روحه وتلك هى الشخصية القومية فمن اكتسبها اكتسب الخلود وقد قال يوما للمشير الاول فى معرض الانكار عليه لانهاكه المملكة بكثرة ما يفرضه على الشعب من الضرائب وإطلاق أيدى عملائه يستحوذون على الاموال ظلما وعدوانا مما يؤذن بخراب البلاد :

« ان هذه المملكة ورثتها عن آبائك واجدادك ، ولم تاخذها بحرب فهى بمنزلة دار حبس يسكنها المستحقون على التداول فاذا انقضت مدة أحد المستحقين فلا أقل من ان يترك الدار كما أخذها غير منقص شيئا منها ، والاولى ان يتركها أحسن مما أخذها لتلحقه الرحمة وهو فى قبره اما اذا

---

(22) المصدر نفسه 2 / 79 .
(23) المصدر نفسه 2 / 89 ، 95 ، 96 .
(24) المصدر نفسه 2 / 89 .

تركها فى حال نقص يلحقه ضد ذلك ، وقد أخذت هذه المملكة وعمرانها أكثر منه الآن وقد أخذت فى طريق العدم (25) .

ولعل مثل هذا التوجيه ونحوه عن الوفاء فى الانتماء والاعتزاز به هو الذى حرك المشير أحمد فى معرض حديثه عن المعونة للدولة العلية « فاننا وان جمعتنا الاخوة الدينية والخدمة السلطانية لا ننسى نسبتنا القومية » . وبهذه النسبة أفاض من ذاتيته الى كاتب سره وصاحب الاتحاف حين كان بالشانزيليزى والحديث حديث اعجاب بشارع الجنات قال المشير لكاتب سره « فقال لى : ما أشوقنى للدخول من باب عليوه واشتم رائحة الزيت من حانوت الفطائرى داخله (26) وقد خرج الكاتب هذا الكلام تخريجا مفاده ان الامر يتعلق بالاجلال هناك للمشير بينما وهو فى الشارع الفرنسى رجل كسائر الرجال وقد انكر المشير هذا التخريج ، مؤكدا على انه شعور وطنى ولئن كان هذا الاحساس بالانتماء جديدا فى نفوس البايات بهذا الوعى العميق لمفهوم الوطن فان الرجل العادى التونسى كان يسرى فى دمائه وكان لا يغيب عنه لحظة ومن أجل ذلك يلاحظ ان التونسى رجل منضبط حساس فى سمعته وسمعة بلاده ومن هنا كان انضباط الجيش فى الحملة العسكرية ايام حمودة باشا على طرابلس حيث تم كل شىء فى ليبيا بفضل الجيش التونسى دون ان يصدر من التونسيين ما يشين « ولما رأى أهل طرابلس انكفاف أيدى العسكر التونسى عن النهب أهدوا لهم مائة ألف محبوب من الذهب تحمل بها أغنياؤهم طوعا » (28) وقريب من هذا الانضباط فى الانسان التونسى ما جاء فى الاتحاف عن البعثة العسكرية التى خرجت اعانة للدولة العلية لاعانتها فى حروبها قال صاحب الاتحاف : (وكانت سيرتهم فى الغرب مشهورة وحسناتهم مذكورة من الصبر والثبات والتجلد على المشاق وطاعة الكبراء ونزاهة النفس والحياء على عادة أهل تونس فى غير وطنهم فان الغربة تعقد بين المتعاديين منهم ، أخاء واتصالا مما جلب لوطنهم جميل الذكر (29) .

وبمرور الايام وتطور الزمن أصبحت النسبة التونسية حتى عند البايات كما نرى شرفا بخلاف الحال من قبل وبدأت الشخصية التونسية تفرض نفسها يوما بعد يوم حتى رأينا المشير حين اعتزم على زيارة فرنسا يصدر

---

(25) المصدر نفسه 4 / 148 .
(26) الاتحاف : 4 / 161 .
(28) المصدر نفسه 3 / 26 .

منشورا لرجاله والامة وفيه أكثر من دليل على أن مفهوم الوطنية قد اكتسح القصور الجانحة تجاوبا مع مشاعر المواطنين العاديين حتى ولو كان ذلك تظاهرا وكانى بنفسية السيد والراعى انقلبت أو بدأت تتحول الى نفسية المسؤول والخادم للشعب الذى لم يعد رعية بل أصبح مواطنا سائلا : « والله يعلم ان شغفى برعيتى ومملكتى يقتضى ان نقتحم المخاوف ونتحمل مشقة الاسفار لراحة أوطانهم ، وجرت عادة الله ان المسافر يهتم بأمر أولاده فانتم عندى بحمد الله المال والولد وبغيرتكم حماية الوطن (30) ومن هنا كما ترى بدأت تتلاشى أو قل تتهافت المفاهيم التقليدية القائمة على التمييز بين الحاكم والمحكوم باعتبار الأول راعيا والثانى مرعيا الى إقرار أو تقبل مفهوم جديد ان الراعى هو الحاكم المسؤول وان المرعى هو المواطن صاحب الحق والكلمة الاخيرة وهذا التطور أو التغيير يعتبر كبيرا فى مفهوم الشخصية التونسية وفى مستواها الرسمى والشعبى أيضا .

ونحن اذا ما لاحظنا قديما وحديثا تهالك الشخصية الشعبية عند بعضهم حتى جعل من جعلها مطية ظهرها لمن غلب فان الشعب التونسى فى اصالته واعتداده بشخصيته جعل افريقيا قديما لا تعرف الا به وتسمى باسمها لانها محط الحضارات قديما (ومحط شعائر الاسلام) (31) . والحاكم فى هذه الديار مهما حاول التفرد فانه يجد نفسه مجبرا على الامتزاج واشراك الشعب والاستماع لصوته والاخذ منه والتفاعل معه من أجل ذلك فانه ما يزال على حذر فى سياسته فان أخطأ أو تهور فحساب الشعب وراءه وليست انتفاضة الشعب التونسى دائما هى الثورة كما كان ذلك عند غيرنا بل ان الطريقة فى العلاج قد تبتدىء بتنظيم المظاهرة وشن الاضراب العام على نحو ما يحدث فى هذا العصر جاء فى الاتحاف ان ابراهيم بن أحمد الاغلبى ضرب سكة جديدة ، فلم يحز بذلك موافقة الشعب وانكروا عليه هذه السياسة المالية انكارا شديدا « فانكر العامة ذلك وغلقوا الحوانيت وتألبوا الى رقادة وصاحوا بابراهيم» (32) ان مثل هذه البوادر الشعبية المتمثلة فى الكفاح السلمى بعيدا عن أساليب السيف فى مثل ذلك الوقت لمواقف تدعو الى التأمل والاعجاب ومثل المظاهرة

---

(29) المصدر نفسه 4 / 163 .
(30) المصدر نفسه 4 / 93 .
(31) المصدر نفسه 4 / 20 .
(32) المصدر نفسه 1 / 111 .

التى نظمها صبيان ولاية نابل وجاءت باردو لتعلن سخطها على واليهم محمد المورالى فما كان من على باى بن حسين الا أن بادرهم بقرار عزل هذا الوالى عنهم وكانوا يهتفون : « يا رب ألطف بينا المورالى جار علينا » (33) .

ومثل هذه المظاهرات الشعبية ما حدث ايام مصطفى باى وكان المتظاهرون يسمون انفسهم (جماعة البوقال) لانهم تعاهدوا بمقام سيدى عزوز وشربوا جميعا من (بوقال) عند حوضه ، وسبب تظاهرهم هو احتجاجهم على أمر الباى (باحصاء سائر من فى الحاضرة من الشبان باسمائهم فى دفاتر ويعرضونها عليه) لتجنيدهم ، فرفض هؤلاء المناهضون : « بانه لا طاقة لنا على اعطاء أولادنا تمضى أعمارهم فى السعى وهم بموضع واحد كدواب المطاحن » مع العلم ان عسكر تونس هم الترك وزواوة وكلف الباى قاضيه للاتصال بهم فقالوا : « من أراد الكلام معنا فليأت الى الجامع الاعظم جامع الزيتونة فهم الباى بالمشى للجامع » ولكن المماليك ثبطوه عن ذلك لحاجة فى أنفسهم ، وكان الباى أثناء ذلك « يسمع ويأتى الحاضرة ويدور بها فاذا مر بطائفة من هؤلاء يضجون بالدعاء له بالنصر ويقولون : أجرنا على عادتنا من اسلافك وهو يبتسم لهم ويدعو لهم بالهداية » حتى اضطروه الى التراجع فى قراره (34) ان مثل هذه المحاسبة اليقظة لسياسة الحكم من جهة الشعب وبهذه اللباقة دعاء بالنصر ومطالبة بالتراجع تدل على ذكاء التونسى فى معالجة قضاياه انه عنيد فى الحق ولكن بأسلوب وباخلاقيات نظيفة ، ولكن ذلك لا يمنعه من الثبات فى المبدأ والانتصار فيه ومن المواقف الحاسمة فى التاريخ التونسى ما ورد فى الاتحاف عن قصة الشعب مع حاكمه معز بن منصور من بنى حماد اذ اراد المتاجرة فى عام قحط بالحبوب واخراجها الى خارج البلد ولكن الشعب فتح عيونه على الامير يراقبه حتى اذا عثروا عليه يفعل فعلته ثاروا به فطردوه وصيروا الحكم فيهم شعبيا وعهدوا بالادارة الى قاضيهم أبى محمد عبد المنعم ابن الامام أبى الحسن ولكن هذا القاضى بدوره أراد أن يملك عليهم من ليس لهم باهل لأنه اعرابى وقوته عصبيته الخلدونية فما كان من التونسيين الا ان طردوا الامير وأتبعوه بقاضيهم (35) وقدموا من قدموا ، وبهذه الشخصية الشعبية القوية الحساسة تمكن من تمكن من حكام تونس الاقوياء الى تحقيق ما كانوا يحلمون بتحقيقه

(33) المصدر نفسه 2 / 172 .
(34) المصدر نفسه 3 / 209 ، 110 .
(35) المصدر نفسه 1 / 149 .

من طموح لان أولئك الحكام قد فهموا نفسية الشعب وعملوا على الامتزاج بـه وتبصيره بما يجول فى نفسهم من مخططات والشعب من أجل ذلك لا يتوانى فى البذل والعطاء والاخذ بما يلقى اليه وهنا يكون لقاء الحاكم بالمحكوم والسائل بالمسؤول فقد ذكروا ان المعز الفاطمى كان يتقصد اطلاع الوفود التونسية على حياته الخاصة المتقشفة الخشنة كسبا لقلوبهم وقد كانوا معه كذلك وبلغ بـه الامر أن أصبح يوجه حياتهم الاجتماعية الوجهة القومية وما إخالهم الا كانوا لدعواته تابعين . دخل عليه وفد كتامة يوما فأراهم ما هو عليه من البساطة فى العيش ثم أخذ فى توجيههم قال : « وأقبلوا بعد هذا على نسـائكم والتزمـوا الواحدة التى تكون لكم ولا تشرهوا الى التكثر منهن والرغبة فيهن فينغص عيشكم وتعود المضرة عليكم وتنهكوا ابدانكم وتذهب قوتكم فحسب الـرجل الواحد الواحدة ونحن محتاجون الى نصرتكم بأبدانكم وعقولكم (36) .

أقول : وما أشبه تلك الدعوة المبكرة للشعب الى تنظيم حياتـه الداخليـة والصادرة من مسؤول تونس فى ذلك الزمان البعيد ، ما أشبهها بدعوة السيد الرئيس اليوم ونحن فى خضم الحضارة الحديثة ولئن كانت حملة تنظيم النسل ونظام الزوجة الواحدة قد عرف بهـا الغـرب الحـديث فانهـا فى حضارتنـا التونسية جزء من ماهية شخصيتنا الحضارية المتزنة والميالة الى التقييم العقلى فى كل شىء يعود بالنفع على أهم ما فى الانسان وله ، وهمـا العقـل السليـم والجسم السليم ، ويبدو ان مثل هذا الاتصال المباشر بين الشعب ومسؤوله سنة تونسية قديمة وصلت الى الدعوة لعدم تعدد الزوجات محافظة على العقل السليم فى الجسم السليم منذ القدم ولا شك ان فى هذا التجاوب ما يخلق فى الشعب الوداعة والركون ، فان عدم ذلك كان التنافر والنقد الشديد ، وفى عهد الحكم الحسينى كثير من الشواهد على هـذا اللـون من الصـراع الخفـى والمكشوف وفى كلا الحالتين هناك شخصية قوية لا تعرف الخضـوع ولكنهـا تأخذ أوضاعا مختلفة حسب الظروف ، ذكر ان على باشا كـان جبارا سفاكـا للدماء جريئا فيها فخافه الناس وانكمشوا عنه ولكنهم حين رأوه يستعد لمنازلة ابناء عمه الوافدين من الجزائر فى جيوشهم الجرارة أسرعوا يذكرونه باعماله انتظارا للحساب فقد كتبوا له على حائط برج الجلاز : « هذا لا ينفعك قد حضر أجلك ، وأراح الله منك ومن ذريتك يا قاسى القلب فأين تذهب قـد جـاءك الطلب » (37) . ولئن سجن على باشا من سجن لهذا النقد فان حكم الشعب عليه كان صحيحا لم تغنه قسوته ولا دافعت عنه جرأته ووجد نفسه فى فراغ

---

(36) المصدر نفسه 1 / 126 .

(37) المصدر نفسه 2 / 146 .

شعبى مهول ليس له من سند الا نقمة شعبية تلقائية بعيدة عن كل تحزب حسينى وهو مرض ذلك العصر .

ومن هذه الوقفة الشعبية ذودا عن الكرامة ودفاعا عن الحق ما جرى فى الاتحاف أيام حمودة باشا فقد كان من عادة الباى الحسينى ان يجلس فى المحكمة ويباشر قضايا الحرابة ونحوها بنفسه وذات يوم نهب مواطن خارج العاصمة وحضر لدى الباى شاكيا فقال له أحد رجال حمودة باشا : « تكلم أيها الشيخ ان سيدنا يسمعك » ، فقال الشيخ : « سيدك أنت اما أنا فلا سيادة له على حتى يكون حاميا لدينى ونفسى أينهبنى جنده قرب الحاضرة وأدين له بالسيادة » (38) .

وانى لأعتقد اعتقادا جازما لو ذهبت وقتها تذرع الارض فى غير البلاد المغربية وفى غير تونس باستثناء أوربا تبحث عن موقف مواطن أمام ولى أمره الملوكى لما وجدته ولأعياك الطلب وقد يزعم زاعم ان المغاربة ومنهم التونسيون يصدرون عن غلظة فى الطبع أكثر من صدورهم عن العقل ولكن مثل هذا الادعاء لا يخلو من الجهل بطبيعة المغاربة الصلبة فى الذود عن الحياض وكذلك كانت شخصية التونسى ويذكر أن الداى محمد طاباق وهو دخيل حدث فى عهده انكسار مركبين انقليزيين وخرجت بضائعهما منتشرة على السواحل فما كان من الداى الا ان بعث يحفظ هذه البضاعة لاهلها ولم يمس المواطنون شيئا منها حتى ان ابن أبى الضياف يقول معجبا من هذه الظاهرة المشرفة للشعب والداى:«وهذا غريب فيذلكالعصر الذى فيه أمثال هذهالحروب بمجرد الهوى»(39)وليس في هذه الحالة استغراب فالحروب حقا في ذلك الوقت سببها الهوى والاطماع ولكن كل هذا شىء وسمعة تونس والتونسيون شىء آخر لا ينبغى أن تشوه عند الدول الاجنبية وهذا الشعور لا شك فيه معتبر ؛ جدت فى حروب بنى مراد ان محمد باى استعان بصاحب الجزائر ولما استتب له الامر سجن الباى السابق وهو محمد منيوط وكان من موالى على باى المرادى ولكنه بعد ذلك أحضره وعفا عنه وصيره الى بلاد الترك وقبل تسفيره جهزه بما يلزمه ووصله بمال وقال : لا يدخل بلاد الناس صفر اليدين بعد ان كان باى تونس (40) وهذا الشعور لا يقبل الجدل فى حقيقة وجوده وحساسية التونسى فى حق بلده وسمعتها وقد أفاضت هذه الشخصية كما ترى على الحكم برغم كونه مملوكيا مما جعل الادارة وان كانت دخيلة قد طوعت أساليبها واكتسبت مواقفها نفاذ البصيرة وبعد النظر . حدث فى أيام على باى

---

(38) المصدر نفسه 3 / 81 .

(39) المصدر نفسه 2 / 53 .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بن حسين تعكر فى العلاقات التونسية الفرنسية آلت الى حرب بين الدولتين وقدم الاسطول الفرنسى محاربا وقد طلب تجار الفرنسيس بتونس تسريحهم لبلادهم فسرحهم وركبوا من حلق الوادى على غاية الأمن ، وعارضه بعض وزرائه - أى على باى - فى تسريحهم فقال له : إنهم دخلوا بلادنا بأمان وعهد صلح فلا يسوغ التعرض لهم بوجه من الوجوه كما هو مقتضى الشرع والعقل، وكيف لنا ان نخون عهد الاسلام ؟ وحرس مكاسبهم وأثاث بيوتهم وبالغ فى ذلك وتوفا على عهد الصلح (41) وقريب من هذا ما حصل أيام حمودة باشا حين استولى نابليون على مصر وتأزمت العلاقات تبعا لذلك بين تونس وفرنسا على أن تونس لم تماش الدولة العلية فى تصعيد الموقف بل كانت معتدلة اعتدالا غريبا وفسر الموقف التونسى ، إذ ذاك بكثرة خلطة الفرنسيين للتونسيين ، وقد يكون الحكم هدف من وراء ذلك ان يبقى النافذة مفتوحة نحو فرنسا حذرا من الدولة العلية وقد ولجها من بعد المشير الاول لنفس الحذر ومهما قيل عن تلك المواقف فانها على كل حال انعكاس لهذه الشخصية التونسية المعتدلة الرصينة وتأثر المماليك الاتراك بها الى درجة ان اصبح الواحد منهم يقبل النقد بل ويستصوبه فى خصوص التغافل عن عدم جعل الامن القومى محور سياسة الدولة فلذلك قبل الباى من أحد رجاله وهو معجب بما شيد من القصور ، اذ قال له : « اذا أتانا عدو نرميه من مدافعنا بهذا البردقان » وقد ندم حمودة باشا على ما بناه لانه لا ينفع البلاد بجلب مصلحة أو دفع مضرة ، والله لولا قبح الأحدوثة فى الجمع بين خسران البناء وخسران الهدم لهدمته الآن (42) وانطلاقا من هذه اليقظة القومية فى نفسية الحكم المتتونس تولد عامل التضامن والركون الى الوازع الوطنى حتى ان حمودة باشا قال فى دفاعه عن اقتصاده فى الانفاق من مال الدولة : « هو للمملكة وأهلها ونحن وكلاء فليس لنا الا ما للوكيل من التصرف بالمصلحة » ومعنى هذا ان مفهوم الحكم لم يعد قائما على ان الرعية فى خدمة الملك بل رجع أو قل : بدأ الرجوع فيه الى ان الحكم فى خدمة المجموع فهو كالوكيل ومن الواجب ان يكون نزيها وأمينا ولا شك ان فى هذا الاتجاه الجديد نضجا سياسيا اتجه الى المصالح العليا الوطنية فلذلك كان حمودة باشا « لا يتباهى إلا بعمل البلاد من لبس نسجها شعارا ودثارا كنسيج سوسة والحمامات والجريد وجربة ، ومما يصنع بالحاضرة من نسج الحرير الصرف والمختلط(43) وبذلك تولد عن قصد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

---

(40) المصدر نفسه 2 / 61 .
(41) المصدر نفسه 2 / 168 .
(42) المصدر نفسه 3 / 76 ، 77 .

أو غير قصد ما يسمى اليوم بسياسة التقشف وحماية البضاعة الوطنية وتشجيع اليد العاملة على العمل حتى ولو عند النصارى حتى قال يوما رادا على باش حانبه الحاج أحمد بن عمار وقد أنكر على أبي محمد حسونة المورالي اشتغاله مترجما : « في عسكر الانقليز لما توجه لمصر » ، قال له : « لا يعير الرجال بالخدمة انما العار بالبطالة » (44) .

وبفضل تلك السياسة وما انطوت عليه مواقف من تغييرات العصر والضغوط الحضارية آل الامر في الحكم من ملكي مملوكي مطلق بدون مداراة ولا ملاينة الى نوع من التضامن والالتزام ما أمكن بمتطلبات الرغائب الشعبية وتقريب الشقة بين الحاكم والمحكوم حتى سمعنا مثل هذا النغم على اثر صدور عهد الامان : « والله يرى اني ما آثرت في قبول هذا الامر على خطره الا مصلحة الوطن على ذاتي وعمرت بخدمته الفكرية والبدنية أوقاتي وقدمت من التخفيفات في الجباية ما علم خبره وظهر بعون الله اثره فانتشرت الامال وتشوقت النفوس الى ثمرات الاعمال ، وانقبضت على التعدي أيدي العمال » (45) .

وهكذا يقتضي تطور العصر ولو تظاهرا بنضج الشخصية التونسية ، أن يقف الباي أمام شعبه ليحاسب نفسه بفسه ويعترف بما له وما عليه ويجهد نفسه في التدليل على السهر من أجل الامة والوطن بل ليتجاوز ذلك كله ليعبر عن إيثاره له والتضحية من أجله بحياته ولا شك أن مثل هذه التصريحات أو قل الاعترافات لها نتائجها من بعد حين تفتحت عين المواطنين وادركوا ان الزمن قد تغير في حين كانت تصورات بعض رجالات ذلك العهد ان الامر لا يعدو ان يكون شكليا فلذلك رأينا المواطنين من بعد « طلبوا أن لا يتولى عليهم الموالي من المماليك وطلبهم لذلك إن صح من حيث انهم من غير أهل المملكة ولادة وان كانوا من أهلها ولاء وولي القوم منهم لانهم أبعد الناس عن هذا المراد لما حل بينهم وبينه من نسيان طعم الحرية لا فرق في ذلك بين غبيهم ونبيلهم وان كان (سادات كل اناس من قبيلهم) وانما طلبوا ذلك لان غالب المماليك وغيرهم من أهل الصرايا يخرجون اليهم خروج المالك لعبيده يرون ما يأخذونه منهم حقا واجبا وما يبقونه بأيديهم تفضلا منهم ويستعينون على ذلك باستمالة أعيانهم بالرهبة تارة والرغبة أخرى ، ويجعلون لهم طعمة كسهم الكلب من المائدة ، ومن أمثالهم « الشجرة تحرق بعود منها » ولا يخطر ببال الرعية في

---

(43) المصدر نفسه 3 / 77 .
(44) المصدر نفسه 3 / 79 .
(45) المصدر نفسه 6 / 241 .

هذه الازمان الانصاف من هؤلاء بل لا يؤملون سماع الشكاية ، هذا اذا آمنوا من تسميتها بالفساد لان القوم من المقربين زلفى معايبهم تستــر ، وزلاتهــم تغفر (46) وقد حرصنا على ان ننقل هذا النص على طوله لما فيه من التحليــل المركز لجوهر القضية فى هذا الصراع بين الشخصية الوطنية التى حققت أو قل : تحقق لها ما تحقق من المكاسب وبين هذه العناصر الرخيصة ولئن وفــق الكاتب فى نظرته جملة الا ان ادعاءه بأن طلب المواطن ليس مأتاه (انهم من غير أهل المملكة) فان اصرار المواطنين على هذه التسمية بالمماليك وما يشاهد لهم من أقارب يفدون بصلبانهم مكرمين فى القصــور البابوية كــل ذلــك يجعل المواطنين فى طلبهم يصرون على عزل هذه النوعية باعتبارهم كالاعضاء الزائدة النافرة يرفضها جسم الامة ولا تقبل بأن يندرجوا فى دورتها الدموية .

والباى الذى أكره على اصدار الدستور اكراهــا وظنــه نظريــا فــوجىء بمتطلباته الواقعية فاستسلم هو ومماليكه زمنا للتيار وتفتحت عين الشعب لهذا البصيص من الحرية وتدعيم الشخصية الوطنية فلما أراد الحكم ان يعــود القهقرى فى ظل الدستور كانت الثورة وكان استغلالها من طرف الباى وأذنابه والاجانب لالغاء الدستور « وعهــد الامــان » والعــودة بالبلاد على بدء فكانت المأساة ثم كان رد الفعل الشعبى القوى بالشر الذى لا بد منه وهو الارتماء فى احضان التجنيس كعلاج أخير للهروب من جهنم الباى ولكن هذا الباى الاخير وأعوانه بارعون فى إضفاء الالقاب شيطانية على كل متجنس مما حــرك صاحب الاتحاف ان يقول على طريقة شيخه ابراهيم الرياحى فى مجابهة المشير الاول : « ما يمنع هذا المسمى بالمفسدة وهو حر ان يقول للباى : جنابك العــالى هو الذى أفسد رعيته حيث الجأهم الى الاحتماء بغيرك ثم يشفع الكاتب كلامه فى هذا الموضوع بخلاصة هى بمثابة الكتاب الاسود يصور كيــف كان البايــات بالشعب يعبثون وصاحب الاتحاف قد وفق ايما توفيق فى حديثه عن أحوال أولئك المماليك فهو لا يتردد فى كشف مساوئهم السيــاسية ولكنــه أيضا لا يتردد فى ايراد ما تحقق للشخصية التونسية من انها بدأت تهضمهم هضمــا كمسألة مصاهرتهم التى كانوا يقصرونها على مــن كان منهــم من الممــاليك الاجانب (48) ثم تطامنوا شيئا فشيئا حتى نزلوا الى تربة الشعب وصاهروا

---

(46) المصدر نفسه 5 / 128 .

(47) المصدر نفسه 6 / 63 ، 110 ، 111 .

(48) لمصدر نفسه 4 / 169 .

أفراده بداية من حسين باى (49) كما كشف عن تلاعب البايات ففى الوقت الذى تجدهم يلوذون بالشعب ويتهربون تحت ظله فى الامتناع من دفع الاداء السنوى للدولة العلية وابطال العادة فى تقديم هدية الزيت السنوية الى الجزائر بحجة ان الشعب رفض ذلك وابطل ما كان يجرى وانهم يقفون حيث يحدد لهم الشعب التونسي ان يقفوا (50) فى الوقت الذى نراهم يقفون هذه المواقف وكانهم خدم للشعب يكشف الكاتب جوانبهم المظلمة الاخرى فهم حتى أواخر عصرهم الاول كانوا متعصبين على الشعب يتجاهلون رجالاته ولا يقدمونهم الا لوظائف الدرجة الثالثة ويسجل ابن أبى الضياف ذلك بقوله : « وعجب الناس من هؤلاء الثلاثة وهم من ابناء المملكة ولادة » (51) والقصد بذلك هو شخصه ومحمد بن الشيخ عبد الكبير الشريف وأبو عبد الله محمد الطاهر بن عاشور وذلك حين عينوا كواهي لرئيس المجلس الكبير ، وقد كان تعجب ابن أبى الضياف من عصبية الحكم المقيتة وعدها عنوانا للخراب حيث لاحظ ان المناصب الجديدة ليس لاهل المملكة فيها نصيب « والحال ان ابناء المملكة ولادة فيهم أولوا الالباب والجهابذة الكتاب الا ما كان من وزير البحر أبو محمد خير الدين فانه انتخب أبا عمر وعثمان بن محمد هاشم مستشارا فى وزارته وعد ذلك من انصافه عند من يرى مثل هذا انصافا ، كما اتفق ان هذا المستشار اختاره وزير الحرب أبو النخبة مصطفى آغا لما توجه للدولة العلية واختاره الوزير أبو عبد الله محمد عامل الساحل لما توجه سفيرا لدولة اسبانيا ، والفضل للمبتدىء وان أحسن المقتدى (52) ثم يقول متعقبا لهذا التعصب وكم عانت تونس من هذا التعصب ، فى شأن تأليف المجلس الكبير ، وكان اعضاؤه العشرون كلهم من المماليك « ومن غريب الاتفاق ان العشرين رجلا المنتخبين من رجال الدولة لم يكن فيهم من ابنائها ولادة الا العبد الحقير ، والشريف حسين بن عمر المقرون ، والكونت جوزاف راف ، وغيرهم من ابنائها ولاء ومولى القوم منهم . كما انه من الاتفاق ان هؤلاء الرؤساء على المجالس لم يكن فيهم أحد من ابناء المملكة ولادة بل رؤساء مجلس التحقيق والجنايات ليس فيهم من شروط الانتخاب الا الوجاهة فى هذه الدنيا ، وليس لهم من العلم الا الاحساس بالامور الضرورية .

---

(49) المصدر نفسه 3 / 158 ، والجزء الرابع 170 .
(50) الاتحاف : 3 / 76 ، 200 .
(51) المصدر نفسه 5 / 96 .
(52) المصدر نفسه 5 / 27 .

كما ان من الاتفاق ان أهل المجلس الاكبر لم يكن منهم واحد من أهل العلم (53) واذا كان الصادق باى يجوز عليه هذا وأكثر فان حمودة باشا الذى عد جوهرة البيت الحسينى هو نفسه كما فى الاتحاف متعصب لابناء جنسه حتى لكأنه غير ذلك الباى الذى تقمص شخصية الملك المقيد بالقانون قال صاحب الاتحاف : « وكاد الباى ان يقصر الوكالة على الجوامع والمدارس والزوايا وأمناء الصناعات على كبراء الشاوشية كأن لم يكن فى البلاد أمين سواهم حتى ان الشاوش اذا صار اختيارا يأتيه طالبا لوكالة أو نحوها الى غير ذلك من ايثارهم وميله اليهم كل الميل » (54) وتدل هذه السياسة على ان التعصب العرقى تحول الى مرض مزمن فى دولة البايات اذ لا يكادون يتجردون منه أو يخيل اليهم ذلك حتى يغرقوا غرقا فكانوا فى هذا الجانب مضطربين ليس لهم هوية ومثل هذا الاضطراب ما شاهدناهم إزاء الاعلان عن الغاء نظام الرق فى البلاد والاعلان عن عهد الامان ، والكاتب فى مواقفه معهم وهو المتصل بهم الخادم فى ركب دولتهم تختلف حاله باختلاف البايات فهو مرشد تارة وراد تارة أخرى وشاك حزين مرات عديدة حتى كاد دفاعه عن ابناء وطنه يكلفه حياته كما حصل له فى محضر الباى حسين اذ عظم عنده ذلك ونادى والده ليقول له : « هذا كيف تربى ؟ » ، يقول : « هؤلاء أحرار » ، فقال له : « هذا من جهله وعدم تخلقه بالسياسة » (55) ، وتمر السنون ويتوالى البايات على كرسى تونس وسؤال الباى حسين عن كاتبه التونسى : « كيف تربى ؟ » ظل قائما وظل صاحب الاتحاف يعد ملفه عنهم محللا لمواقفهم وسياستهم رادا عليهم مبرزا مزايا أمته بما يستشهد به من أمثالها الشعبية آخذا بالحديث عن طبقات علمائها وكتابها وشعرائها من موقف المواطن الصالح الذى لا يتزحزح عن وطنيته وعن ربط أمجاد تونس الحاضرة بأمجاد تونس الماضية متشبثا بالمدرسة التونسية الخلدونية فى البحث ايما تشبث حتى لكأنه تلميذ عاصر ابن خلدون وأخذ عنه فى مجال فلسفته ووطنيته وتشبعه بشخصيته التونسية الصميمة وكفى ابن أبى الضياف فخرا فى تلك العصور الحالكة ان يكون أول داعية للتعريب والخروج من نطاق التشريك وانه أول من كتب للدولة العلية بقلم عربى مبين فهل فينا من تقمص هذه الروح ليقعد هذا المقعد فالذى عودتنا به تونس انها مخصاب وانها أم النبوغ .

ـ يتبع ـ

---

(53) المصدر نفسه 5 / 38 .
(54) المصدر نفسه 3 / 57 .
(55) المصدر نفسه 3 / 184 .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مِن خلف الأسْوار أشهق بالحلم

شعر : عبد الله مالك القاسمي

يَعْبُرُنِي الآنْ ..
نَهْرٌ لِلْفَرَحِ الأبْيَضِ
يَسْتَوْطِنِ دائرَةَ الضّوء
يَتَوَزّعُ فِي أرْضِ سَواد ..
قَمَراً ونُجُوماً

أحْلُمُ أنِّي وَرْدَه
تُزْهِرُ فِي أرْضٍ وَعْرَه
أوْ قَطْرَةُ مَاء ..

تَطْلَعُ مِنْ رَحِمِ الصّخْرَه
أحْلَمُ أنّي طِفْلٌ ، وَفَرَاشَاتُ الحَقْلِ تُرَاوِدُنِي
أشْهَقُ بالْحُلمْ ..

تَعْلُو أشْجَارُ الغَابَهْ ،
تَعْلُو ، تَعْلُو ، كَيْفَ تُطَاوِلُنِي ..
وَأنَا أشْهَقُ بِالْحُلمْ ؟

إنّه فَصْلُ الزّرْعِ
وَمَوَاسِمُ أخْرَى لِلشّدوِ
قُلْ لِلأرْضِ :

قُـومِي وَالتَحِفِي بُستَـانَ الـزّهـرِ
وَامْتَشِقِي عِطْرَ الوَردِ
قُـلْ لِفِرَاخِ الطَّـيْرِ :
غَنِّي مِـلْءَ الأعْمَـاقْ
إنَّـهُ زَمَنُ الفَـرَحِ
وَالأشْـوَاقْ

آه ، عُشَّاقُك ، مَـوْلاَتِي
نَامُوا خَارِجَ قَصْرِكِ ، فِي المَنْفَى ..
اهٍ ، مَا أَطْـوَلَ ، لَيْلَ المنفَى !
. . . .
نَحْنُ ، نُسَائِلُ عَنْكِ الأقْمَـارَا
الـرّيحَ ـ الأمْطَارَا
وَنُسَائِلُ عُصفُورَ الغَابَهْ
« يَا ..كَيْفَ .. ؟
يَا ..كيفَ .. ؟
نتلَظّى بَـرْدًا فِي الصَّيْفْ .. ؟ »
فَلْتَدْخُلْ بَيْتِي اللّيْلَةَ ، سَيِّدَةُ النَّـارْ
فَالتَدْخُلْ بَيْتِي اللّيْلَـهْ ..
أقْرِئْهَا الأشْعَـارْ

الآن ..
نَهرٌ للحُزْنِ المُحْلَـوْلِك ، يَعْـبُرُنِي ..
وَيَفِيضُ عَلَى أعْشَاش حَمَامْ ..
تَنفُضُ رِيشًـا زَغَبَـا

أأكُــونُ كَبيــرَ الطَّيــرْ ..
يَتسَلَّقُ وَجْهَ سَمَاءٍ دَمَــوِيَّهْ ؟
وَيَخُطّ بِرِيشَةِ مِنْقَــارْ ..
خَارِطَــةً لِلْحُبِّ ..
وَأخْــرَى لِلْغَضَبِ ؟

إنِّــي احتَرتْ
مِنْ أيَّةِ نَاحِيَةٍ أبْسُطُ وَجْهِي ..
لِلشَّمْسِ تُكَسِّــرُ أغْــلالاً ؟
تَطْلَعُ مِنْ جَسَدِ المَنْــفَى
لِلــدَّمِ يَنْهَضُ .. يَــرْكُضُ ..
يَصْهَلُ كَالخَيْلِ .. صَهِيــلاً

يَا كُلَّ تَــوارِيــخِي
قُــومِي ، وَانْتَشِــرِي ..
هُنَــا جَسَدِي
كُونِي فَانُوسَ العِشْقِ يُضِيءُ اللَّيْلَ وَيَغْزِلُ أحْلامَ الفِتْيَانْ
أوْ كُونِي مَا شِئْتِ .
وَانْفَتِحِي تَوّاً ، يَا .. ذَاكِرَةَ النِسْيَانْ
فَالنَّــورسُ ضَيَّعَ وَجْهَ البَحرْ ..
وَالمَــوجَ الأزرقْ
والشُّطْــآنْ

إنِّي احتَــرْتُ ..
تعِبْتُ ..
أنَا رَجُلُ التَّعَبِ

مَحْزُومٌ بِالحَطَبِ
وَسَــرِيــرِي ...
وَامْرَأَتِي حَمَّالَةُ .. لَهَبِي

فَأنَا المقْتُــولُ ، أحِبَّــائِي
وَدَمِي نَافُــورَةُ مَــاءْ
تَطْلَعُ مِنْ جُرْحِ الأَرْضِ ، تَصِيرُ سَحَابا وَسَمَاءْ ..
.. تَهْطِلُ أمْطَارًا ، أمْطَارًا ، أمْطَارًا
هَــا هُوَ الــدَّمْ ..
هَــا هُوَ الــدَّمْ ..
قَدْ تَعْلُو أسْــوَارُ المَنْفَى
وَتَطُولُ يَدُ السَيَّــافْ
قَدْ يَنْتَحِلُ المَــوْتُ فُصُولَ الخِصْبِ
لَــكِــنِّي ..
لَــسْــتُ أخَافْ
لَــسْــتُ أخَافْ .

عبد الله مالك القاسمي

من دراسات الاعداد القادمة

● ابن خلدون والتشكيلة الاجتماعية الاقتصادية المغربية فى عهد ما قبل الاستعمار .... بقلم : **خالد المنوبى**

● الشيخ اسماعيل التميمــى ..... بقلم : **د . جلول عزونه**

المخدوعون ...

قصة : حياة بن الشيخ

ـ ماذا تم فى القضيــــة ؟

ـ انتهى البحث واودع الملف فى الارشيف ..

ـ وألصقت التهمة طبعا ضد مجهـــول ..

ـ لم نتوصل الى معرفة الحقيقة أجلت القضية مرات ومرات ، ثم كان لا بد من الانحاء الى الواقع . ثم لم توجه التهمة ضد مجهـول ؟ ليست هنـاك أيـة تهمة .. انه انتحـــار ..

ـ انتحار !! وما الذى أوحى لهم أنه انتحار ؟ لم لا تكون قضية قتل . قتل قتل مع سابق إضرار وتدبير ؟

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ـ ليس لدينا الادلـة لادانـة أى كـان . المشكلــة شائكة من سيفكـر فى قتلهـا ؟ فتـاة محتـرمة ، جـادة ، بلا اعـداء على مـا أعتقـد .. إنمـا الانتحار فأمره يكتنفه بعض الغموض ـ لكنه ليس ببعيد الاحتمال .. ربما فى لحظة يأس .. أو حزن .. أو ..

ـ لم لا تكون قد قتلت لانها محترمة .. جادة كما تقول ، أليس همـا أمران يدفعان الى الموت ؟ الجد .. الفضيلة .. انـه الموت بعينـه فى عالم العبث والفوضى وأمور صغيرة أخرى تافهة لكنها ذات قيمة تقود صاحبهـا خطـوة خطوة الى الهاوية الا ترى ذلك ؟ لكن ألم تفكروا فيه هو ولو لحظة ..؟

هو ..!؟ لكن الادلة .. كل ما وجدناه كان ضدها هى لا أحد غيرها .

ـ طبعا . ما دامت لم تعرف أبدا للمكر طريقا .. انما هـــو ..

ـ لقد وجد عندها كمية لا بأس بها من المخدرات ، كانهـا عـاشت العمـر مخـدرة الاعصــــاب .

ـ كان لا بد أن تعيش مخدرة الاعصاب لكي لا تتذكر . لا تتذكر أنها فاضلة .. جادة في زمن يسبح للرذيلة .. يقدس الخطايا . كان لا بد أن لا تتذكر .. ولكن ..

مخدوعا كان حيث ظن أنه ثعلب ماكر . خدعته فقتلها . خدعته البغايا فراح يبحث عن ضحية . وخدعها فانتحرت .. والحقيقة هما الاثنان قد خدعا وكان من المفروض أن يكون لهما نفس المصير .. لا بقاء **للاثنين .. انما في بلد المخدوعين .. « لا باس ..**

كانت سيارة ما تسير متعثرة الخطى لم يستقر بها الامر على الاتجاه الذى ستتخـــذه .

الـى أيـن ؟

ـ الى اى مكان هادىء حيث نستطيع أن نتحدث دون مقلق أو رقيب . في البيت عندي مثلا تأخذ قهوة . ندخن سجارة . ونتكلم مـا رأيـك ؟ في البيت سجارة .. نتحدث يا ابن اللئيمة . طبعا سنتحدث كثيرا . وما بقى أمامنا غير النقاش العقيم .. والغوغاء اللامجدية . الثرثرة ربما هـي المتعة الوحيدة الراسخة على ارض العبث ؟؟ في ماذا سنتكلم سيدى ؟ لا يهم . أفي الاشتراكية أم الدمقراطية الميتة ؟ أم في الرأسمالية التي تضخم عودها وبدأت تلتهم الكون .. في ماذا ؟ لا يهم .. لا حديث يهم الآن .. ولا كان بالامس بهم شيء . ولا في الغد .. الامبريالية . الدمقراطية . الحرية .. الكل استقر في نفس الكيس يتقاتل في نفس الهـوة . الحياة . الجد . الكرامة كلمات شنقت فوق شفاهنا . ماتت لنحيا . أو نحـن قتلناها لنحيا اذ لا حياة للجميع معا . لا مكان للجميع معـــا .

لنتكلم عن الحضارة .. أو الفقر أجدى .. بل الاحسن نأخذ السفالة ، لقد أضحت من أمتن الصروح المرتكز عليها وجودنا . يا لـه من موضوع مدهش وواقعي ! أليس الكل الآن يطالب بالواقعية ؟ يا لها من أطروحة ! بل أحسن أطروحة يمكن لك ان تنجح بها لتدخل الحياة الواقعية العابثة .. اللامبالية كما تراها أنت ، وكما يراها كل ذى عقـل واع هل أنـا على غلط ؟ لا . أنـا على حق ، وأنت على حـق ، والواقع السافل الذى يرمقنا ساخـرا على حـق . والرجعية . والدمقراطية .. وشهامة العـرب الشهيدة ، وامجادهم الفانيـة .. والمجاعة التى تهدد العالم الثالث .. والمعتقدات الزائفة .. الجميع على حق .

قديما كان العفاف .. والنبل .. والشهامة من شيم العرب .. وحديثا أصبح المجون .. والنفـاق والانحـلال من خصلال العـرب . تطور . تمدن . عصـر

تكنلوجيا . ومادة تسير الجميع . السياسة العالمية والعلاقات العائلية .. والطموحات الشخصية .. مادة سامة .. واقتصاد متدهور .. سنتحدث عن ذلك يـا ابـــن ..

وذاك الطبيب الاحمق .. عقدة نفسية قديمة كتفاهته قديمة .. قديمة .. الغبي ألم يلمح الا عقدة وكل ما حولي قد رص بالعقد ؟ لا بد أنه في طريقه الى فقدان بصره من جهة ما . عينه الشمال ؟ أم عينه اليمنى ؟ .. « عقدة أوديب » سببها .. تبا له . تبا لأبي واحضان عمي الذي قال : إنها ما زالت تؤسرني . ولكل الاسباب الملفقة التي تكبلني . رعب .. كوابيس .. عويل يغتال سكون الليل . وعقد تنمو . وتنمو كأعشاب برية . تنمو لتصبح غابة كثيفة من العقد بقيت تائهة في متاهاتها الحالكة ولا من يدل على السبيل .. فقد ضاعت معالم السبيل بين الجد والهزل عبث . عبث و « عقدة أوديب » وابي وعمـــي .. ورجال كثيرون . كثيرون تمتد يداي لخنقهم . أخنقهم . أخنقهم واختنق معهـــم .

الى أين ؟ عد بي سنشرب القهوة غدا . وسنتناقش في موضوع الحضارة العربية . والرجعية والسفالة العصرية .. غدا . الآن أريد أن أنـام . « عقدة أوديب » تعذبني هل سمعت بها ؟ هل سمعت بها ؟ لا . مدهش الا تعرف الارق ؟ محظوظ أنت .. علـم النفس بعيد عنك . رائع ذلك .. ينام . لا ينام ، يظل مستمعا الى مناجاة غريبة . تنهدات حرة آتية مما لا أدري . أصداء موسيقى حزينة نائحة .. أم صرخة استغاثة يعقبها عويل وبكاء . بكاء شديد .. وكوابيس . عالم زاخر من الكوابيس . هل فهمت أم ؟ سنتناقش غدا في كل ذلك .. ماذا تخير ، السفالة أم الارق ، أم كلاهما معا . لا تبتسم هكذا بغباء والا حطمت رأسك . ثم نسيت . يبدو أنك صغير . صغير عن « عقدة اوديب » وعن الارق كم عمرك ؟ أم اذا كنا سنحصي السنين بالعقد فالاحسن ان اسال كم عقدة في جرابك ؟ هاه دع الجواب الى الغد . أنا متعبة الآن ..

الطيبون للطيبات .. والخبيثون للخبيثات . و .. هـزل ، سخـف ؟ ظلم ولا عدالة . لا شبح للعدل . ظلم ابتدأت حلقاته من فوق ، لتنتهي الى تحت . اللامبالون فوق يخطون أقدار البؤساء . والسفلة الانتهازيون تحت يتلهون بمصائرهم . وهم قد خلقوا ليظلوا دائما يتأرجحون من فوق الى تحت من اعلى درجات السلم الى آخر درجاته ، ظلم .. هفوة تجر هفوة .. يا دهر الهفوات .. ولا شيء كما يجب . ولا احد في مكانه . لا احد في طريقه .

والطيبون غدوا للخبيثات . والسذج للمنافقات . انما دوما الضائعون للضائعات .. والحسرة والكبت للفاضلات . لا شيء كما يجب .. ولا احد فى مكانه ..

أنت انسان جاد . اذن انسان متخلف . ميت . أو يجب أن يموت كما تنص عليه اللوائح العصرية . فى زمن الفوضى يصبح العبث أغلى عملة يتعامل بها الاذكياء . كل ما عداه مزيف . عملة مزيفة يعاقب عليها القانون ، السجن . الكبت . الكوابيس .. وعقد ورعب بلا حدود . والحياة عبث أو لا تكون ـ الجاد فيها يموت حسرة ، والشريف يذوى كمدا .

يا زمهرير اللؤم الذى نفح وجوهنا .. يادموع المساجين فى زنازين الطهر ، والجد المحتضر أما أنت ساعة الانعتاق ؟ وزنزانتى نسيت رقمها . السجانة حتما تعرفه .. تلك الانثى الذكر لو رأتنى لمسكتنى والقت بى وسط الزنزانة المظلمة لاواجه الكرسى الذى انكسرت قوائمه فارتكن فى احدى زوايا الزنزانة المعتمة يبحث عن هوية .. مثلى تماما .. انسان متحطم يبحث عن هوية . عن جنسية . مغتربة فى دهاليز دهر غريب بلا اسم .. بلا اوراق .. بلا ثياب بلا زاد . بلا .. بلا وقد كنت فى ما مضى . فى عهد غابر أحمل جنسية ما . ومزايا عديدة وحفنة خصال حميدة وضعتها فى كأس شاى ساخن الى ان ذابت ، فشربتها ما دامت عقيمة الجدوى .

ـ من انت ؟ هل لك بطاقة شخصية ؟ أين أوراقك ؟ .

بطاقة !! المغفل اهل البطاقة أنا ، ام انا البطاقة ، ام كلانا يدين الآخر ويستتر خلفه ؟ أأنا الاوراق أم الاوراق أنا ؟ اسم .. بل بعض اسماء لأناس تخلوا عنى فقررت ان اتجاهلهم . موعد ميلاد .. وارقام .. ارقام لا تكون مجدية الا فى صك يقدم الى صراف ساذج فيمد لك بيد شحيحة ببعض نقود تبدأ فى الفرار لحظة تضع قدميك فى الشارع .. أوراق وارقام وعقد هذه أنا !!!

البطاقة   لقد مزقتها واحرقت أشلاءها مذ تأكدت انى سأبقى فى عالم العبث شبح انسان بلا هوية .. بلا مستقر .. أسير مع قطيع العابين يعصب الياس رأسى ولا اعرف من أنا .. ولا أبصر معالم طريقى . عفوا ، قلت انى اضعت طريقى فى غابة العقد .

ـ من أنت ؟ من أين .. ماذا تعملين ؟ .

نعم من أنا ؟ بقايا فتاة فاضلة . لا تبتسم . قلت بقايا امرأة محترمة في طريقها الى أن تغدو مومسا . ربما ستكون مومسا فاشلة ، كما كانت حطام فتاة فاضلة مهزومة .. لا يهم .. مهزومة فاشلة . بقايا فضيلة واطنان زاحفة من الرذيلة .. قل ما تريد ولا تسلني .

على كل مومس ناجحة أحسن الف مرة من فتاة فاضلة مهزومة .. اعرفت أخيرا من أنا .. وما سأكون يا له من مستقبل باسم في انتظارى .! خط لى .. ودفعت اليه قصرا صدقني ولا تكثر من الابتسام ايها الوغد والا ...

السجانة الانثى الذكر عرفت أخيرا رقمي . يا لها من زانية كريمة . أتتني بابريق ماء نصف متسخ لكنها لم تصلح اللمبة المنكسرة . تغافلت عنها . ثدياها أضخم مما احتمل .. صخرتان فوق هضبة جافة التربة . لو أضع رأسي فوق أحدهما .. لا .. حتما لن أجده بعدها سيضيع كما ضاع طريقي فى غابة العقد . لن افعل . اول ذكر بنهدين .. كل ما فيها مفزع .

« لم أنت هنا .. أحقا ؟ » .

ـ نعم . تهمة خطيرة . بقايا فتاة فاضلة ، سيشفع لها طبعا انها عما قريب ستصبح مومسا. لم أقل ذلك من أول وهلة لذاك الابله ، صدمته براءتي وصعقته سذاجتي . براءة فضيلة . أخلاق وجد فى جد بالامس كنت .. لكني فى الغد سأغدو أشهر بغي فى أرض التافهين أزاحم قطيع العابثين وأتعلم الدعارة منهم . فى الصباح حطمت اللمبة .. لذا سأبقى الآن فى الظلام . لم حطمتها ؟ لا أدرى . ربما كنت أبحث عن هويتي فيها . لكن اللمبة وجدت بها بعض ارقام لم افهمها . حشرت المادة والارقام فى كل شيء حتى فى النور . النور كذلك لا يسلم الا بارقام . من اجل ذلك عمت القتامة كل القلوب . مصير حالك للبشرية جمعاء .

ـ ألست جائعة ؟ لم أنت وحيدة ؟ قيل : إنك خطرة ، أحقا ذلك ؟. ماذا تفعلين ؟ أجيبي ..

ـ لو جردوني مما قيل ومما يقال لمت .. انه اغلى ما بقى لى ماذا افعل ؟ اني اعد .. أجمع أرقاما ..

ـ ماذا تحسبين ؟.

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

ـ البراغيـــث ..

ـ مـــاذا ؟

ـ البراغيث .. أسي .. أسكتي ..

ضـائع + ضائعـة = ضائعـون .. ضائعـات .. ماكـرة + ساذج = مخدوعون .. جد + وعى = موت . جنون . انهيار . عقد . عقد . غبار ونور منطفىء . وبراغيث . أسراب من البراغيث .

ـ كم عدد البراغيث ؟ .

ـ لا استطيع العد .. انه جيش . جيش من البراغيث . انا جائعة ويائسة حقا .. لكنى لست خطرة . كنت فى ما مضى خطرة لما كنت بريئة وفاضلة .. انما الآن أنا مثل الجميع ، لكنهم لا يريدون ان يصدقـوا ذلك . مـاذا يريدون اكثر . مهلا بدأت أهزم جيش البراغيث ..

ـ قيل : إنك قتلت ... أصحيح ذلك ؟.

ـ نعم . قتلت عن عمد واصرار ..

ـ اذن الاعدام ينتظرك .. أو السجن المؤبد .. لكن كيف قتلته .. ولماذا ؟

ـ من ؟ عمن تتحدثين ؟.

ـ الضحية .. عنه هو .. القتيل ..

ـ ليس هناك ضحية غيرى ؟ لقد قتلت نفسى . نفسى وما فيها من قيـم وخلق . واباء وبراءة .. هى التى قتلتهـا .. لكنى لست هنـا من أجـل ذلك .

ـ ماذا ؟ قتلت نفسك .. األنت ميتة الآن ؟

ـ نعم . ولا . اسألى البراغيث . فاضلة . ميتة . مومس حيـة . لم أعـد أدرى ، قلت لك اسالى البراغيـث . معذرة . لقد ماتت . قتلتها هى الاخرى .

لقد أمست الجريمة جريمتين . قتلت نفسى والبراغيث ولست ادرى هـل سأشنق من اجل نفسى أم من أجل البراغيث .

ـ أنا ما فكرت أبدا فى قتل البراغيث . لقد تعودت عليها تعودت على عدة أشياء لو تعرفين. أشياء عدة تعودت عليها أهونها بل يمكن أمتعها البراغيث.. لكن عجبا ألم تقتلى احدا غيرك ؟.

ـ قلت لك : قتلت البراغيث وسأشنق حتما لفعلتي الشنعاء ، ساعديني على النواح لقد جفت مناهل ادمعي .

ـ ليس لهم الادلة الكافية لادانتك . لم يرك أحد ، الا انا . ولن اشهد ضدك ثقي بي ربما كان لا بد للبراغيث ان تموت ..

ـ لا . كـان يجب أن تحيـا . انها دنياها . أما نحن فلكـي نعيش يجب ان نبحـث عن دنيانـا . أفهمت ؟ هـذه أرض البـراغيث وأرض المخـدوعين .. والمنافقين . هي ليست لنا . ليست لنـــا ..

ـ هل احببت ؟ كم مرة ؟ انـا احببت عشر مرات فقط . آخر مرة كانـت صفعـة مريرة . لقد اكتشفت ان لا شـيء افظع من سخافات الرجال وهـم يتسلقون الفراش لممارسة عمليـة الحب بعد ان ظنوا ان الفريسـة انتهـى أمرها .. ولا اشنع من مشاعر اناث نزلن للتو من السرير بعد مضاجعة احد الانذال المخدوعين ، وقد توهمن أن الوجود أضحى بين ايديهن .. اتضحكين ؟ تسخرين منـــي ؟

ـ اسكتي . كفى لغـوا . لا بد مـن قهقهة على المزيفيـن المخدوعين . ودمعة على البراغيث . لكن من قال لك : إني قاتلة خطيرة ؟ أهي تلك الانثى الذكر ؟ علـى كل لا يهم . لا تقلقي راحـة البراغيـث بل نامي وحاولـي ان تستفيقي باكرا ، لا بد أن نشيع جنازة البراغيث غدا . سيرافق الموكب كل القتلة المقتوليـن .. كل الفاضلين المغتالين . استعدي لذلـك . ما اعظم ان أشيع جنازة البراغيث ..

ـ يتبـع ـ

من أقاصيص الأعداد القادمة

النـاي المصدوع	....	محمود بلعيد
لعنة الوشاح المقدس	....	الناصر التومي
البحث عن البسمة المفقودة	......	أبو بكر العيادي

الإشراقات

شعر : رانبو
تعريب : محسن بنحميده

42 — تَصْفِيَـةٌ

لِلْبَيْعِ

مَا لَمْ يَبِعْهُ اليَهُودُ
مَا لَمْ يَذُقْهُ النُّبْلُ وَلاَ الجَرِيمَةُ
مَا يَجْهَلُهُ الحُبُّ اللَّعِينُ
وَنَزَاهَةُ الجَمَاهِيرِ الجَهَنَّمِيَّةُ
مَا لَيْسَ لِلزَّمَنِ وَلاَ لِلْعِلْمِ أَنْ يَعْتَرِفَا بِهِ
الأَصْوَاتُ المُعَادَةَ
الأَسْتِقَامَةُ الإِخَوِيَّةُ لِجَمِيعِ الطَّاقَاتِ الجَوْقِيَّةُ وَالتَّخْتِيَّةُ
وَتَطْبِيقَاتُهَا الفَوْرِيَّةُ
الفُرْصَةُ الوَحِيدَةُ
لِتَخْلِيصِ حَوَاسِّنَا

لِلْبَيْعِ

الأَجْسَامُ التِي لاَ ثَمَنَ لَهَا
خَارِجَ كُلِّ رَهْطٍ
وَكُلِّ عَالِمٍ
وَكُلِّ جِنْسٍ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وكُلّ نَسْلٍ
والثّروَاتُ النّابِعَةُ

عَنْ كُلّ مَسْعَىً

تَصْفِيَةُ ألْمَاسَاتٍ غَيْرِ مُرَاقَبَةٍ

لِلْبَيْعِ

الفَوْضَى لِلْجَمَاهِيرِ
والرِّضَى الّذِي لاَ يُقْمَعُ لِلْهُوَاةِ السَّامِينَ
والمَوْتُ الشّنِيعُ لِلْمُخْلِصِينَ والعَاشِقِينَ

لِلْبَيْعِ

المَسَاكِنُ والنُّزُوحَاتُ
وَالرِّيَاضَاتُ وَالرَّوْعَاتُ والرَّفَاهَاتُ الكَامِلَةُ
وَمَا تُحْدِثُهُ مِنْ دَوِيٍّ
وَحَرَكَةٍ
وَمُسْتَقْبَل

لِلْبَيْعِ

تَطْبِيقَاتُ الْحِسَابِ
وَوَثَبَاتُ التّنَاغُمِ المُذْهِلَةُ
وَالإكْتِشَافَاتُ اللّفْظِيَّةُ
وَالعِبَارَاتُ غَيْرُ المُتَوَقّعَةُ
شَأنُ الإمْتِلاَكِ العَاجِلِ
وَالوَثْبَةُ غَيْرُ المَعْقُولَةِ وَاللاّمُتَنَاهِيَة

ذَاتُ الرَّوْعَــاتِ غَيْرِ المَــرْئِيَّةِ
وَالمُتَعِ غَيْـرِ المَحْسُوسَةِ
وَأَسْرَارُهَا البَــاعِثَةُ الــذُّعْرَ
فِي كُلِّ رَذِيــلَةٍ
وَمَــرَحُهَا البَاعِثُ الرُّعْبَ
فِي الجَمَــاهِيــرِ
لِلْبَيْــعُ
الأَجْسَادُ وَالأَصْــوَاتُ
وَالرَّخَاءُ الوَاسِعُ غَيْرَ القَابِلِ لِلسُّــؤَالِ
وَكُلُّ مَا لَنْ يُبَــاعَ أَبَــداً
وَالبَــائِعُونَ لاَ تَنْقُصُهُمْ فُرْصَةُ تَصْفِيَةٍ
وَالمُسَافِــرُونَ
لَيْسُوا مُطَالِبِينَ بِرَدِّ عِمَالَتِهِمْ
عَــاجِلاً

شعر : **رانبــو**

تعريب : **محسن بن حميده**

من قصائد الأعداد القادمة

الرحيل الى العيون المرافىء	**حلمي الزواتي**
لحبيبتي الاولى سأغنى ـ 2 ـ	**ابو وجدان**
قصائد متوحشة ـ 2 ـ	**كمال قداوين**
من مذكرات رجل ضاع منه الطريق	**عبد الله السيد شرف**

ومضات من شمس الخضراء
أو في الحضارة التونسية المعاصرة

بقلم : محمد الحبيب براهم

الومضة الثانية أو الرؤية الفكرية التونسية فى مفهوم الدمقراطية :

ان المتأمل فى النفس النقدى الذى تلونت مظاهره هذه الايام بمشارب أصحابه وتفاوتت درجاته حسب نزعاتهم يشعر بالحاجة الملحة اذا كان منطلقه حب الارض وتوسم الخير فى اهلها الى تقييم موضوعى رصين لهذه الظاهرة الهامة حتى يقع تعهدها بحرص وحذر وتخليصها من كل شائبة مشبوهة فينضاف بها درب نموذجى من دروب مسيرة التطور فى تونس المعاصرة ...

فبعيدا عن كل تشنج وجدانى أو مغالاة منطقية هذه خواطر تحليلية تنطلق من الواقع الملموس وتخاطب الآمال المراودة مرورا بحلول لا مندوحة من الاستناد فيها الى العقل والوجدان والضمير ومتطلبات الحياة فى شتى مظاهرها الطبيعية .

الارضية الفكرية والبناء الحضارى :

... بداهة أن كل عمل فعال يسبقه امعان وتفكير الا أن هذه القاعدة تتحتم أكثر اذا كان العمل متصلا بالمجموعة يمس فيهم قيمهم المعنوية والمادية فلا بد عندها من منطلق تتضافر على تدعيم أركانه عدة عناصر تضمن له سلامة الأسس .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

... وبداهة أيضا ان كل عمل فعلي يهدف الى التطوير الحضاري في كل جوانبه يستند حتما الى أرضية فكرية هي اشارة الانطلاق ورصيد المسيرة ومرجع الافق . انه السبيل الذي انتهجته في التاريخ قديمه وحديثه كل حركات التحرير والاصلاح بوجوهه المتنوعة وهي دوما ملامح عامة الا أنها أساسية تحدد الاطار الجوهري المتهيء لاستيعاب كل الاجتهادات الايجابية المتولدة عن متطلبات التغير والتحول والتطور .

... وبداهة أخيرا أن الارضية الفكرية المتحتمة لكل بناء حضاري يتولد عن العمل الفعلي لا تنزل تنزيلا أو تقدم على طبق جاهز وصاية فكرية موروثة أو تسلطا حديثا دخيلا بل هي حصيلة مساهمات تنبع من كل محلل حصيف مطلع نزيه وثمرة مراحل تم تخطيطها بحذق ومراس وسداد نظر بعيد فيقترن التفكير العميق المركز بالتخطيط الدقيق المحكم ليكونا الاطار المقصود بمصطلح الارضية الفكرية المتحتمة للعمل المباشر الفعلي .

... وما الارضية الفكرية عندنا اليوم الا تلك الحلقات المدروسة المتلاحمة طيلة الجهاد التحريري في اطار مراحل بورقيبية حكيمة ، تمثل ما اعتبرناه حتميا وهو التخطيط العملي الذي يتلو بداهة المخاض الذهني والتهيؤ الوجداني

... ثم ما الارضية الفكرية كذلك الا هذا الاسهام الثري من كل الطاقات المفكرة الموضوعية في موقع المسؤولية والتسيير والعمل مهما تنوع الميدان مما خلق مناخ تواصل وخصوبة توالد مرحلي متجدد في جهاد ما بعد الانعتاق من التسلط الاستعماري والتوق الى البناء الحضاري انطلاقا من المقومات الذاتية الخالدة الاصيلة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

موقع الدمقراطية من هذه الارضية :

والحديث عن الدمقراطية لون من ألوان الخوض في مسائل الارضية الفكرية المتحتمة في مرحلة ما بعد الاستقلال ، ذلك أن هذا المفهوم لا محل له زمنيا وذهنيا في المرحلة التي كان فيها الذهن والقلب والساعد طاقات مكرسة لاكتشاف الذات وفرض الوجود واثبات موضع القدم وخريطة الكيان وماهية الهوية وهي فترة الجهاد التحريري ، أما وبطاقة التعريف في سجل التاريخ تبلورت فالحوار الخلاق في اطار التكامل البناء ظاهرة صحية سليمة ولابد من تهيئة هذه الارضية الصلبة له تفاديا لكل انزلاق مشبوه أو انتكاس ضار ، لتنزل مرحلة العمل الفعلي في حياتنا العملية منزلة الانشاء والاضافة .

الديمقراطية : مناخ ومبادرات عملية ...

ان الدمقراطية حسب الخط الفكرى التونسى المتشبع بتجاربه الاصيلة الواثق من قدراته الذاتية لن تكون لفظا أكاديمى المدلول قاموسى المفهوم أو شعارا كمراسم المناسبات أو مادة استهلاك يلوح بمحتواه المثالى للبسطاء تخديرا وبأبعاده الفلسفية لذوى الثقافة تغطية بل هى مناخ أولا وعمل ثانيا .

أما المناخ فهو ذلك التهيؤ النفسانى للفهم ثم للنقد ليكون بعدهما البناء ولا يتسنى ذلك الا بضمان المكونات الحقيقية لكل مناخ سليم وأهمها :

- تعميق الوفاء للقيم الاصيلة دينا ولغة وحضارة .
- نشر الثقافة وتعميم المعرفة ببذل أقصى الجهد فى مجال التربية والتعليم
- ترويض الرأى العام على اعتماد العقل سبيلا منهجيا للنظر والحكم والتصرف .
- العمل على كبح جماح الذاتية الفردية النابعة من العاطفة المتأججة والسهر على تلطيف حدتها كمقياس حياتى يشوه الانسجام المتمثل فى المصلحة العامة العليا فيحوله الى نشاز مقيت .
- تقوية داعى الضمير فى أعماق الشعب .
- انتهاج سبيل النسبية والتدرج فى فتح منافذ المبادرات العملية الايجابية الموصلة الى الاطار المثالى المنشود فى ممارسة هذه الظاهرة الفكرية والاجتماعية التى تنعت بالدمقراطية .

وأما العمل على أرضية المناخ اذ تسلم عناصره فيكون بخلق تواصل طبيعى أصيل مع حلقات العمل المركز الماضى . ذلك أن المبادرات العملية فى هذا المجال لن تكون باستيراد شكل جاهز بل باستلهام ما يتلاءم مع النفسية العامة والارضية المبلورة والمقومات الحضارية المتنوعة فى تصرف لبق وتكيف ذكى لا يحيدان عن الهدف المرسوم والاسمى ويتعهدان التخطيط الموصل اليه بمرونة متواصلة . ومن المظاهر العملية المستلهمة من كل ما سبق ، دون أن تعد الوحيدة الممكنة بل هى منطلق قابل للاثراء والاضافة والتكملة ، الوسائل التالية :

- العمل المركز قولا وفعلا وتنظيما هيكليا على تهيئة المناخ المتقبل والحيلولة دون أى وجه من وجوه الانحراف كسلوك سبيل السرعة المتطرفة أو المثالية

الهوجاء أو التسميم المبطن لان هذه النعوت تشير فى الحقيقة الى ألوان سلوك ومظاهر تصرف تحمل على منهاج الدمقراطية وهو منها برىء ، فلا يمكن أبـدا أن ننادى بالحرية الافلاطونية المطلقة اذ فيها تحلل لا يتسنى لمجتمعنا تحمله ولا يعقل كذلك ان يكون المناخ الخاص فى هذا الموضوع بالذات والموجود فى رقعة أرضية أخرى لها معطياتها المعينة متلائما مع جوهر مقومات موقعنـا فى الكون نفسانيا وفكريا وماديا ، والمناخ العام وان كانت مكوناته أسسـا عامة صالحة لكل زمان ومكان الا أنه يتحتم تقولبها وتكيفها بالمرونـة الضروريـة الكافية مع معطيات الظرف زمانا ومكانا وبشرا وحياة ومتطلبات فكرا ووجدانا ومادة ليتسنى التطبيق ويسهل ضم النظرى للفعلى .

ـ الحفاظ المتواصل على حيوية الوازع التلقـائى فى الهياكـل العقـائدية وتمثلها المنظمات القومية المختلفة العاملة بتنسيق متكامل فى تأطير نموذجى خطه الحزب منذ انبعاثه ، وتجميعه مختلف القوى فى لحمة قومية مثالية ، فعلى قدر تغذية هذه الحيوية البناءة بالاستكشاف الدائم للواقع والكشف الصريح عن انواع المظاهر الموجودة سليمة كانت أم مثيرة للاحتراز والسعى الى المبادرات العملية المعالجة يكون التطور العقلى والوجدانى والمادى فى الاتجاه الطبيعى .

ARCHIVE

ـ ديناميكية الهياكل الدستورية وخاصة منها البرلمان ، فهو مدعو الى أن يكون اطار صيانة للقانون ومجال تحاور بناء بين كل وجهات النظر الموضوعية المنصهرة فى صلب وحدة التاريخ والنضال ووحدة المصير والمطمح القومى .

وهو حرى هيكلا وصلاحيات وموقعا بتبنى بوادر عدة فى سيـاق التطوير الايجابى المرن اذ أن درجة الحرارة الفكرية والنفسانية تنبع من منابره لتشيع حتما فى المناخ العام والارضية الاجتماعية العملية فالحذق فى تعهد الميزان يقود حتما الى رسم خطى محكمة سليمة فى المسيرة الجماعية .

ـ التعهد الدائم لفاعلية الاجهزة التنفيذية فى دواليـب التسييـر الادارى ولا تتأتى هذه الفاعلية الا بضمان المستوى الثقافى الملائم لنوع الموقع والتحرى فى مدى النضج الاجتماعى أخلاقيا وعمليا والرسكلة المتواصلة بدون عقد وبطرق رفيقة تبدو وكأنها فى صلب المهمة الادارية الا أنها فى الحقيقة تكملة متواصلة للتكوين الذى لا ينتهى بالتعيين بل يبتدى فعلا لان التطبيق يتطلـب الماما متواصلا بكل طارىء وحياة المجموعة عوارض متغيرة تفترض الاستجابة الذكية لمستلزماتها . وعندها ينمو عند كل الاطراف هذا الشعور المقصود وهو تجاوز

الذات لملامسة المصلحة العامة ويمثل ذلك خطوة أساسية فى درب المسيرة الاخلاقية المتحتمة لكل مناخ ديمقراطى يتطلب الايمان بالشخصية باقرارها فى النفس واحترامها عند الغير فاذا هو تعامل حر نزيه متعقل .

ـ حركية الاجهزة الفكرية وخاصة منها وسائل الاعلام فى الاتجاه الافضل ولا يتسنى ذلك الا بتنمية الذوق الموضوعى لدى المتعامل معها المستهلك لمادتها . ويمر خط الموضوعية بطريق الامانة فى النقل والتعليل الحقيقى للحدث والتدرج فى استعمال وسائل النقد النزيه البناء وفتح منافذ لما قد يكون نافعا منه ولو أدى الامر الى محاسبة النفس والتضييق على ساحة أعمالها بسلطان العقل والضمير والواقع الحق .

ـ هضم حركات التصحيح لمسار الجهاد الحضارى فى البلاد كلما حدث زيغ أو بدا انحراف أو خيل فى بادىء الامر انه اصلاح ثم تطور الى انخرام وضرر ، فهضم مثل هذه الوقفات وابداء التقبل والقابلية لاستيعابها كفيل باكساب هياكل البلاد القانونية قوة وصلابة وقدرة على المواجهة وتجديد النفس واستكناه أفضل سبل التطور ، فالهضم فى هذا الميدان ذو وجوه متكاملة تبدأ بامتصاص مضمون النقاط السلبية ولفظه جانبا ثم توسعة الشورى والانطلاق الجديد فى أرضية نقاء واطار صفاء بعد التأكد من صلابة الاسس وسلامة الاتجاه ووضوح الهدف .

http://Archivebeta.Sakhrit.com

هذه هى اذن خطوط كبرى أولية لما نعتبره أرضية صحيحة للعمل الحضارى الحق فى اطار من الدمقراطية السليمة شريطة أن يتهيأ المناخ الملائم ، الا أن الارضية مهما كانت صلابتها والمناخ مهما كانت سلامته لا يوصلان الى مظاهر تطبيقية نموذجية الا اذا اقترنا بما يمهد التقبل ويساعد على الاستيعاب ويجعل هذه الظواهر متسايرة مع طبيعة المتجه اليهم بها نفسانيا وحضاريا وعمليا بل وحتى ذوقيا .

ومن هنا تولد عنصر ثالث متحتم لتنزل الديمقراطية منزلة الظاهرة الطبيعية فى حياتنا وهو عنصر الاصالة الذاتية .

الدمقراطية مناخ وعمل ... وأصالة

ان القيم العديدة والاسس المتينة التى انبنت عليها الحركة التحريرية تفترض أن يكون خط المستقبل مستوحى منها مستلهما مما أثبت ايجابيته

العملية وفرض منهجيته على التاريخ فخط فيه لونا جديدا لم يكن طفرة حماس أو شرارة اجتهاد عابر بل هي طريقة عمل نموذجية وأساس بناء فكري تتواصل ركائزه المبدئية في محتويات متنوعة ومضامين ميادين مختلفة . فتولد ايمان عميق لدى التونسي بذاتيته الاصيلة أو أصالته الذاتية وأصبح يعدها أوضح وسام في صفحة هويته الحضارية . وكان هذا الايمان بالذاتية عظيما والوطن أسير مطامع الاستحواذ الاجنبي وصريع براثن الابتلاع الحضاري فتركز سعي الخطة البورقيبية على ابقاء منفذ نور بالحوار حينا والتصلب حينا آخر لضمان كوة يتسلل منها نفس الذاتية الاصيلة ويتسرب من ثناياها شعاع الانتماء التاريخي فيبدد قتامة الفترة الحالكة ويضمن من الحاضر المظلم ابان الاستعمار آفاق انعتاق وانشاء للكيان وانماء لمقوماته ...

فكيف لا يتعاظم الايمان بالذاتية في المرحلة الحالية وهي مرحلة المجتمع المنعتق التواق الى آفاق طموحة بضرورة ارساء كل خطة عمل وطريقة تخطيط ومبادىء نظرية على أسس تلك الذاتية الاصيلة خاصة وان دواعي ذلك لم تنقطع وظروفه تدعمت .

وظاهرة كالديمقراطية تتفرع مقوماتها الى مناخ وارضية وعمل فتؤثر بذلك في كل المجالات الحيوية في نمط حياة شعب من الشعوب لا مندوحة لنا اذا ما أردناها عنصر تكامل مع مقومات ذلك الشعب حضاريا من أن ننزلها في اطار ذاتيته الخاصة او أصالته بالذات وهذا ما ينتهي بنا بعد أن تلمسنا المظاهر المميزة للذاتية التونسية الى توليد مفهوم تونسي خاص لهذه الظاهرة الفكرية والعملية الهامة .

الدمقراطية من خلال التجربة التونسية :

ان الدمقراطية انطلاقا من هذا التحليل المبدئي واعتمادا على حتمية التشبع بالذاتية في مقوماتها الحضارية وانتماءاتها التاريخية ومواصفاتها النفسانية والاجتماعية ليست لفظا أكاديمي المدلول قاموسي المفهوم أو جدلا بيزنطيا حول مفهوم الحرية . وهي ليست طرقا تطبيقية منزلة من علياء مفكرين لم يخطر لهم يوما ببال وضعنا ولا لامست عيونهم أديم أرضنا ولا تصورت أذهانهم معطيات بيئتنا أو مادة استهلاك تدرجها بعض الانظمة او التنظيمات ضمن قائمة صادراتها أو شعاراتها كوصاية حضارية مسمومة يلوح بمحتواها الخيالي للبسطاء وبهرجها الفلسفي لذوي الفكر او تقليدا لا شعوريا يساير نسق

الموضة متناسيا المقاييس الخاصة وهو يكسو نفسه بمقاييس الهياكل المستوردة أو المقلـدة .

ليست الدمقراطية حتما مفهوما نظريا متحجرا نهائيا ولا انماطا أو أشكالا جاهزة ولا تيارات تجرفها الينا ريح العدوى بل هى وضعية فكرية نفسانيـة تتولد عنها مبادرات عملية طبيعية . فاذا ما انطلقنا من التسليم بوجود الارضية الفكرية التاريخية الاصيلة وتعهدنا برفق وكياسة وذكاء مستلطـف المبادرات الفعلية انتهينا الى مفهوم خاص يتجسم فى تبلور نمط طريف أصيـل لمفهـوم التسيير العصرى والتعايش الاجتماعى المتحضر فى اطار تونسى صرف بعيدا عن هستيريا النقـد المشبـوه وتجنبا للحلـول المستوردة الفضفاضـة واذا الديمقراطية من خلال الاستكناه التونسى ورؤياه الخاصة جوهر تتكامل فيه الآراء من خلال الحوار النابع من الضمير والعقل فى اطار الوجـدان العـام والمصلحة العليا الجماعية أما ماعدا ذلك فعوارض عارضة ...

ثم ماذا أخيـرا ؟

هذه مشاغلنا فى شأن الديمقراطية حزبا وحكومة وشعبا وتلك هى الرؤية الفكرية لمفهومها العميق من خـلال منظار تونسى أصيل ، وللحـق والتاريخ نتبين ركائز الارضية تتغلغل بهدوء ورصانة ووفاء للذاتية وليس لنا الا أن نعمل على تدعيمها وتطويرها نحو الافضل بنبذ كل نية مبيتة لاجهاض هـذه التجربة التونسية الصميمة وتحويلها عن مسارها الايجابى الى متاهات غايات أخـرى ...

فمن منطلق الايمان السليم بالوزن الحضارى للبلاد والاضافة الخالدة من الحزب للتاريخ أهمس لضمير المتربصين بنا الدوائر لاغتيال آفاق المستقبل :

... الى كل من رضع ثدى الحضارة فى الخضراء ، الى كل من آمـن بحتمية اثراء قوس قزح تاريخنا الخصب نية أو فكرا أو عملا ...

... لا تجهضوا وليد المسيرة الحضارية التونسية المعاصـرة بانحرافـات وشعارات واتركوا تعلة قميص عثمان لعهد معاوية ...

محمد الحبيب براهـم

الغربــــة .. النهــر و المطر

ابـداع : محفوظ الزعيبـي

I ـ كتابـات مطمـوسة عـلى بوابـات الغـربة

أحمل من ليل الموانىء شعارات المسافات ، ومن جراح السفر المتعب مشانق أحلام
أسقط فى عينيك أمطارا جليدية تنكث بوابة حانة بعيدة فى آخـر الدنيـا ..
وكنت قد غنيتك فى رحلتى الاولى موال هذا العالم
وأنت تغتالين وجهى فى اللحظة الحبلى بانهار الشمس ،
وأنت يا امرأة مقطوعة الرأس ، مبتورة النهدين لم تبق فيك رائحة يشتمها يعقوب ليسترد الضوء لعينيه ..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

* * *

ألقاك فى حانة الغرباء ، وخلف ستائر حزنك الكثير سحابة دخان ، ووحل معابر منسية
أستنشق الريح التى تأتينى صدئة بالليل والمخاوف من كوة المنفى ،
لم ألق فيك غير صحارى الدموع وقبضة الخواء
يبتعد عنك صهيل هذا الفجر ولاعج البرق المحمل بمطر الخصـوبة والـدفء ،
وجرحك ما زال ينزف دما ونارا فى ذلك التيه لأن موسى لن يعـود أبدا اليه
فطعنة الرحلة عميقة فى الصدر ...

II ـ ليكـن النهـر بركـانك الهـادر

أراك تزرع الغد فينا وتمنع العطاء ، وتبذر فى طميك مخاضنا الجديد
لأنك الوحى الذى ينزل وآية التبيين .
باسمك نحيا

نفجر بركانك الموقوت ونوقن أنك باسم الله : « كن فتكون »
وأنت يا نهر تختبىء الاسرار فيك ، فنكشف منهـا المحار فى عنفك العـاتى ..
اعصار هذا الشعب ..
رحلم هذا الشعب ...

* * *

المطر الذى يزخ بالسنابل وبالثمر يكون مدك السخى .
أحس بمياهك فى العمق تسرى مع الليـل أغنيـة لفجـرك الحـالم وصبحك الآتى
تنصهر حرارة الاشواق فينا نشد بأمراسك عرافـا نغتسـل فيـك لنمحو العار المكدس
يستيقظ الايمان فينا ، ويمتطى الحلم بين غضون الليل والنهار فالصبح آت .. والعبق فوق النخيل والزيتون .
النيل ممزوج بدجلة ومجردة فى نشوة يحتضن الانهـار والأطلس يرقص ما أروع اللقاء ..!

III ـ الحلـم ليـس إلا حقيقـة ..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أعشق يا سيدتى أغنية الفجر الذى يأتى بمطر النهر المتعطش للدفء فى عينيك .
فالوطن ينهض رغم الجـرح والمـدن تحقـق الاغفـاءة الاولى يهزهـا الصهيـل ..
فالأشرعة لم تبددها الرياح تدفع معها المراكب تحت الغمام والمـوج يهدر يحمل وجه التحدى ...

* * *

محفوظ الزعيبى
ـ جبنيانة ـ

وينسخنى الليل
هدبا بهدب
على شهقات الاحباء .. خوف الطفولة
... سور التلمظ والكبرياء ..
وألعق جرحك
أسكنه خلد خلدى ..
أمد لك الهدب واحة ظل
وأفرش قلبى أمواج بحر
وأعصر نسغه للظامئين رواء ..
طويل ظلام المساكين أنت ..
وأسود ... أسود يا زمن الفقر
فى زمن الاثرياء ..
توكأت حلمى على طرقات الوعود
تلفعت فى زمن البرد ثوب انتظار
وكان ممزق ..
تآكل لونه .. شاحت به الثغرات
توالت عليه الفتوحات والاستيلاء
يواعدنى الليل بالخبز ... كوب نبيذ
ووجه حبيبى ...
فأحلم أبنى مدينه
لأحبابى الفقراء وللغرباء
ويشرق صبح الأحباء يبكى .
وجسمه أبرص ... أبرص
مجدور وجه ... قميىء ...

يداه على وتد الامنيات تشد
وصوته يلهث عبر المفازات
يعلو .. ويخبو ...
كحشرجة الموت فى ذبذبات الثغاء
أقدد فى زمن خلب الوعد
تطغى المرارة فى الحلق
ألعق ملحى .. ألعق .. ألعق
يسكننى الظمأ المشتهى
والمحاجر فى الناس يملؤها الكلس..
يسكنها العنكبوت
تمطى العيون .. تثاءب فارغة
تتشهى تضم البضائع تلك
التى تتأرجح فى عنق الواجهات
فراشات صحو .. ملونة الثوب
ليست تحط بغي
قصور السماسرة الاغبياء ..
لأن الفراشات بالواجهات
تظل غبيه
محنطة اللون .. تمضى .. فتغفو
بركن المقاصى ـ مثل الخفافيش ـ
ليست تحط باكتاف أحبابى الفقراء
يسيرون فى الدرب .. حين اكتساح
المطر
حفاة .. عراة .. بلا ممطره !

ARCHIVE
http://archive.beta.sakhrit.com

وليسوا يخافون ماء السماء
بدون مساحيق هم ..
بدون قناع جياعا ..
فلا يحذقون الرياء .
وينسخني الليل
هدبا بهدب
على شهقات الاحباء .. خوف الطفولة
.. سور التلمظ والكبرياء
يواعدني الليل بالخبز .. كوب نبيذ
ووجه حبيبي ..
وعلمني الجوع ان استبي
ـ باظافر تقلع تنبت في الحين ـ
كل البضائع
أعرض كل المساحيق للماء
اخرج كل الفراشات مصبوغة الثوب
اسحق اقبية الواجهات
واعرف منذ البداية انى
ساحمل صك جنونى .!
ولكن ..!
سيقتات من صرعى .. الفقراء
ومن خفقات الضلوع
ساسرج كل الصحارى ربيعا
وابنى من الصحو واحة دفء
تهدهد غربة كل غريب
بغي حدود .. قيود .. شريعه
كحلم المساجين
ابتنى ارضا بلا رؤساء ...!

فردوس مامى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

آخر ما ظهر في دنيا الكتب التونسية

قلم سنمائي يرفض التلون	محمد بن الأصفر
الشعر المنجمي	محمد العايش القوتي
رجل لم يقل كلمتــه	علي ساسي
من وحي الاسلام	محمد الحبيب المستاوى
بحجم الحب أكــون	الصادق شرف
عناقيد الفرح الحاوى	المنصف المزغني
بالجرح على الجبين العربى	المولدى فروج

خواطر للخروج من الازمة

بقلم : محمد الحبيب مصدق

قد تكون عودتنا المكثفة والصحيحة الى التراث لاستقرائه وطرح السؤال عليه هى الجمرة اللامنطيقية تحت الرماد والتى تنتظر ذوى العزائم الملتهبة لمنحها فرصة الاشتغال فى الحقل الجرثومى الذى يعشش منذ أكثر من عشر سنوات فى قطاع البلاد الموسيقى ..

.. ليس سهلا بل من المستحيل ان تنفصم ذاكرة شعب عن ماضيه الحضارى وشخصيته الوطنية خاصة اذا كانت لهذا الشعب جذور مغروسة فى عمق تاريخى تميزه الاصالة وغزارة المادة ولن تتمكن بالتالى اية قوة من غسل هذا الماضى ومحوه مهما تنوعت اساليب ممارساتها وتعددت وسائل قمعها وانما فى كتب التاريخ خير الدليل واصدق العبر ..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وفى تاريخنا الحديث ارتبطت ذاكرة الشعب التونسى أصلا بمرحلة ما تسمى بعصر النهضة الذى سيطر فيه جماعة تحت السور على الانتاج الادبى والفنى باختيارهم الشخصية التونسية فى اطار الثقافة العربية الاسلامية كرد فعل نضالى وموقف وطنى ضد القوى المستعمرة التى كان همها فرنسة البلاد وطمس قوميتها فكانت هده الجماعة ـ مع الاحتراز على بعض الاسماء ـ من ابرز من تصدى لهذه الممارسة وكان الجانب الموسيقى فى هذه التجربة يركز على ما يسمى باللهجة التونسية فى الموسيقى العربية الاسلامية فاقتبس من التراث ولم يشوهه كما يفعل بعض المجددين هذه الايام وكذلك لم يتعمق فيه واهمل بصفة تكاد تكون كلية جانبه القروى والريفى

---

* موضوع تدخل شارك به الكاتب فى ندوة مستقبل وافاق الموسيقى التونسية التى انتظمت خلال شهر مارس 1981 بدار الثقافة ابن رشيق .

ومع قدوم الاستقلال وتطور الوسائل السمعية اولا ثم السمعية البصرية كان لا بد للناس ان يطلعوا على تجارب الغير وكان لا بد للمنتجين ان يتطلعوا الى مجاراة الالوان الناجحة التى تعجب الناس فاستشرق وتمصر ــ نسبة الى مصر ــ اغلب موسيقيينا وفيهم من تغرب او من اعتنق المذهبين فكان نتاجهم موسيقى هجينة (1) ابهرت فى بداية ظهورها الجماهير ثم ما لبثت ان تلاشى ابهارها وهذا لا ينفى وجود بعض المحاولات الجريئة والطريفة التى لم يكتب لها التواصل لعدة اسباب منها انعدام الاطار التنظيرى او عدم الصمود أمام عثرات الطريق : فرقة المنار ورضا القلعى مثلا .

وامام الشعور بانحدار الانتاج اخذت اكثر من جهة رسمية توافق الناس فيما اتفقوا على تسميته « أزمة موسيقى » لكن الكرة ظلت ترمى فى غير اتجاه محدد تتقاذفها الالسن بين من يقول ازمة كلمة ومن يقول ازمة لحن الى من يقول ازمة هياكل وازمة خلق وابداع الى غير ذلك لكن المهم هو ذلك الشعور السائد بان الموسيقى بمختلف اتجاهاتها متخلفة عن موقع خطى بلد سائر فى طريق التقدم .. فالموسيقى التقليدية وما لف حولها والتى تعتمد على مراجع صحيحة لم تعد قادرة على جلب الجمهور الكبير لوقوف تطورها على مستوى البحث فى تفجير رتابة الجملة الموسيقية ثم طرق العرض فى عملية البث والتلقى .. أما البديل المطروح من طرف ما يسمى بالمجموعات الهامشية التى تعتمد على الكلمة مع ثانوية التركيبة الموسيقية فانها بذلك غير قادرة على الصمود امام الاتهام بالفقر الفنى والجهل : تعديل مغلوط . نشاز فى الاصوات .. غياب الجانب الجمالى . ثم طغيان الشعاراتية فى النص المغنى .. وكذلك الشأن بالنسبة لاغلب المنتوج المعروض كالمزود والموسيقى السياحية (2) اذ لكل عمل نقائصه ..

وامام هذا الوضع الذى كانت نتيجته اكثر من عشر سنوات تجارب سقطت بالارقام تحت الدرجة الصفر لا بد من وجود بعض الافكار لما قد تكون عليه مرحلة الانتقال الى ما قد يعطى البديل او البدائل ..

---

(1) الموسيقى الهجينة او الممزوجة او المزدوجة هى الموسيقى التى تمتزج بجمل وايقاعات من غير موسيقى ذلك البلد او تلك المنطقة .

(2) الموسيقى السياحية : تلك الفرق والمجموعات التى تعمل فى تنشيط المنشآت السياحية .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وكنتيجة اطلاع من خلال المعايشة الشخصية ومواصلة لما وصلت اليه ندوة الحمامات حول الموسيقى العربية وجمهورها (3) وكذلك النقاش الذى دار بدار الثقافة ابن رشيق فى اطار هذه الندوة (4) اعرض للنقاش بعض المقترحات العملية الآتية قبل الوصول الى الاستنتاج الذى بدأت به هذا التدخل :

1) اعادة النظر فى طرق التعليم الموسيقى بالمعهد الوطنى للموسيقى والمؤسسات المتفرعة والمتشابهة (5) كمراجعة مواد التدريس بحيث تكون اكثر شمولية وتخصصا .. تكوين عازفين مختصين .. معلمين واساتذة مختصين .. اى بصورة اوضح بعث شعب التخصص (6) ..

2) توسيع تدريس مادة الموسيقى انطلاقا من المدارس الابتدائية والاعتماد بصفة مكثفة على الوسائل السمعية فى حصص الاستماع وعدم الاكتفاء بساعة فى الاسبوع تعطى لتلاميذ المرحلة الاولى من التعليم الثانوى

3) تنشيط حركة بعث مراكز للرسكلة فى اطار اللجان الثقافية الجهوية

---

(3) ندوة الموسيقى العربية وجمهورها التى انتظمت بالمركز الثقافى الدولى بالحمامات 19 ـ 20 و 21 ديسمبر 1980 .

(4) ندوة مستقبل وآفاق الموسيقى التونسية بدار الثقافة ابن رشيق مارس 1981 .

(5) مضى على تونسة المعهد القومى للموسيقى ما يزيد على العشرين عاما وما زال هذا المعهد يعيش فى مرحلة (رعوانية) فى طريقة التعليم الموسيقى وقد شعرت وزارة الشؤون الثقافية بضعف هذا المعهد من حيث المردود والكيف فدعت خبيرين من اوربا لتقييم عمل المعهد فاذا بالخبيرين اتفقا على ان التعليم فى هذا المعهد منقوص وضعيف ولا يمكن ان يقارن بالمعاهد والمدارس الموسيقية الراقية .. (العمل الثقافى العدد : 5 ـ 27 مارس 1981) .

6) . غير ان هذه السياسة التعليمية يجب البحث فيها ببعث شعب التخصص كما هو الشأن بالنسبة للمدارس الموسيقية فى العالم حيث تجد قسما للتلحين وقسما للانشاد وقسما للعزف وقسما للمدرسين فهل يكفى ديبلوم موسيقى ومستوى السنة الخامسة ثانوى لتكوين مدرس مثلا ؟!..

(من حديث اجراه الكاتب مع الملحن حمادى بن عثمان)

(الصباح 20 سبتمبر 1980)

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والبلديات وتكليف الاطار الكفء والمتفرغ لتعليم الموسيقى وقد يكون عمل هذه المراكز مستوحى من تجربة المعهد البلدى للموسيقى Conservatoire) (Municipal بفرنسا والجزائر ..

4) بحث وضعية الموسيقى ـ المحترف خاصة ـ وايجاد اطار قانونى لعمله وهذه النقطة موجهة الى اتحاد الموسيقيين الذى اخذ على عاتقه بحث التصور لذلك الاطار انطلاقا مما يسمى « بطاقة الاحتراف الفنى » ..

وفى انتظار ذلك ومع ذلك قد يكون ما ذكرت فى بداية هذا التدخل هو البديل الاولي الذى ستتفجر منه البدائل الموجودة ويتمثل هذا العمل فى اهتمام سلط الاشراف : وزارة الشؤون الثقافية . وزارة الاعلام ووزارة الداخلية (البلديات) الى القيام بعمليات تمشيط فى كل ارجاء البلاد لجمع التراث وتسجيله على طبيعته بدون تحريف ثم بثه ونشره باستعمال كل وسائل الاتصال الممكنة ولعلكم تذكرون طرافة تجربة افتتاح مهرجان قرطاج الدولى سنة 1980 ولعلنا بهذا العمل نستطيع ان نكون مكتبة وطنية للتراث الموسيقى التونسى وهو جانب لا ينبغى اهماله ولا اظن الاجيال القادمة ستغفر لنا مثل هذا التناسى اما لماذا الاستشهاد بجماعة تحت السور ـ وكثرة استشهادى بها فى مقالاتى ـ فلانها التجربة المرجع الوحيد المتوفرة التى تحتوى على عناصر تكوين « المدرسة » ولعلكم توافقون فى ان غالب التجارب الفنية الناجحة فى العالم انبثقت عن مدارس فنية معروفة وتجربة تحت السور كانت الوحيدة تقريبا التى يمكن وضعها فى هذا الاطار لتوفر اهم الجوانب الضرورية فى تكوين المدرسة : الجمالية والطرافة .. الارضية العلمية الصحيحة .. والايديلوجية التى ليس حتما ان ترتبط دائما بالسياسة والاحزاب والمنظرين السابقين .. فلا أتصور اذن نجاحا يحقق فى ميدان الموسيقى بالبلاد الا اذا توفرت كل هذه الاشياء وغيرها مما غاب عنى والكمال لله .

وفى انتظار ذلك ارى بل اقترح تشجيع نشر وترويج بعض التجارب الموسيقية الصحيحة والمتواجدة باحتشام كبير على مستوى التوزيع وهو ما يسمى « بالموسيقى الصامتة » كتجربة الشاب أنور براهم مع آلة العود وتجربة سداسى الموسيقى العربية بقيادة احمد القلعى وكذلك مجموعة ابن رشيق للموسيقى التصويرية وكل هذه التجارب يمكن ان تشكل للسامع مادة مرجعية ثرية اذ ان غالبها يعتمد على الخلق فى قوالب علمية صحيحة الامر المفقود عند اكبر الموسيقيين انتشارا فى هذه البلاد ..

محمد الحبيب مصدق

كلمات صغيرة

شعر : مصطفى النجار
(سوريا)

– 1 –

أنا آسف جدا
أنا آسف أن تمضغيه وتنشريه الى العراء
كم يعرى فى الشتاء .!
كم كان يمضى فى الحريق !
كرمى عيونك ..
فاذكريه !؟

– 2 –

نامت على يدى فراشه
فأيقظت مشاعرى
فاصاعدت الى دمى
مجاعة التعبير !
من ذا الذى يفكك الكلام ؟
لأشرح الحكاية الحميمه :
حب توارى فى العظام ...
يعود فى فراشة تطير
يعود فى سنابل تطير
توزع الازهار للعشاق
وتطعم الصغير !

– 3 –

رفت على نوافذى حمامة بيضاء
فاقتربت من داخلى ..
فرت الى البعيد تشتكي
من هول ما رأت ؟
تضرجت بادمعى
على نوافذى ارتمت !

– 4 –

فاهت بها الحقول
واصاعدت الى القلوب والعقول
ندية ..
قوية
موارة بالشوق للمجهول
لتبدع الطريقة الجديده
لرقصة الحياه

مصطفى النجار
ـ حلب ـ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مِنْ أجل مَشْروع ثقافي قومي

هذا هو النص الذى أعدته وزارة الشؤون الثقافية كوثيقة وضعت على ذمة اللجان الاستشارية التى التأمت من 8 أفريل 1981 الى 8 جوان 1981 .

قال المجاهد الاكبر الرئيس الحبيب بورقيبة :

- **الثقافة عامل انتاج وحضارة وحافز للصمود فى وجه التيارات الجارفة والشهوات السافلة والتحكم فى النفس .**

- **الثقافة حماية اجتماعية تكتسب مناعتها بالتعليم والجو الوطنى المخيم على الشعب .**

- **ان الشىء الذى لم يقع التعرض اليه ويقتضى التفكير فيه مليا هو البحث عن ضرورة توفير المال للمشاريع التى نعتزم انجازها ، وهذا يتطلب بطبيعة الحال اعتمادات كبيرة . وفى الشؤون الثقافية توجد أمور يصعب تحقيقها أحيانا نظرا لتزاحم المسائل ... ومن ثم فانى كثيرا ما أعمد فى اجتماعات مجلس الجمهورية الى ترجيح كفة الثقافة مؤكدا ان لها فائدتها وجدواها حتى فى شؤون الزراعة والتجارة وغيرها ...**

من خطاب الرئيس بالكاف يوم 15 سبتمبر 1968

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أ ـ تمهيد :

ان تغير انماط الحياة فى المجتمع وبروز الحشود من الشباب المتعلم بفضل ديمقراطية التعليم اصبح يحتم ضبط مقاصدنا الثقافية انطلاقا من الاختيارات ومرورا بالانجاز والتمويل والتنشيط والتشريع فى ميدان لا يخفى تشعبه

لاتصاله فى نفس الوقت بالموقف المجرد وبالعمل الفكرى ـ خلقا واستيعابا او تلقينا وتقبلا بالنسبة الى الفرد وبالنسبة الى كامل المجتمع .

وان ما نريده فى هذه المرحلة الجديدة ليتمثل مبدئيا فى ضمان الزاد الثقافى لكل فرد من افراد المجموعة الوطنية وفى تشريكه بصورة فعلية فى دعم الثقافة التونسية وازدهارها بتأصيل الانسان التونسى فى ترائه الحضارى وفتح الآفاق فى وجهه ليسهم فى اثراء الحضارة الكونية فى الوقت ذاته . وليس ذلك بالامر اليسير لاسباب كثيرة منها ولا شك عدم توفر الاموال الطائلة التى تكون فى مستوى الطموحات بالنسبة الى بلد كبلدنا ما زال فى طريق النمو يعتبر من اعجل الاولويات واوكد الضرورات توفير الشغل لابنائه بما يضمن كسب القوت فى احسن الحالات .

وان كانت هذه النظرة غير صحيحة لامرين :

أولهما انه لا يمكن أن تستقيم تنمية مادية بدون تثقيف حقيقى يضمن الاطمئنان والسلم الاجتماعية .

ثانيهما ان ازدهار الثقافة يفضى بدوره الى ازدهار الصناعات الثقافية التى تمكن من خلق مواطن شغل عديدة ومن الاستثمار الذى لا يحد مداه وبالتالى توفير الانتاج لانها تشجع على خلق صناعات فرعية من تجهيزات وقطع غيار وغيرها . فبينما تشهد بعض البلدان تطورا مطردا لثقافتها وبينما تفكر هذه البلدان فى اثراء ثقافتها عن طريق الدخول فى حوار بناء مع الثقافات الاخرى القاصية منها والدانية وبينما نراها تتطلع الى المستوى الكونى او تحاول فرض ثقافتها على الثقافات الاخرى بالمرونة او بالقهر بوصفها بلدانا غالبة مصنعة وثرية ومؤثرة نجد أنفسنا فى تونس امام ضرورات ثلاث :

ـ رعاية ثقافة قومية ثرية ومتنوعة ودعمها بما يضمن لها البقاء واستمرار التأثير . وليست الرعاية هنا هى مجرد الحفاظ على هذه الثقافة المتميزة فقط بل الانطلاق منها الى ثقافة نوعية متميزة تأخذ بأسباب العصر .

ـ العمل على ان تسهم تلك الثقافة القومية فى اثراء الثقافة الكونية بالدخول فى حوار بناء مع الثقافات الاجنبية .

ـ ايجاد الوسائل المادية الكفيلة بالقيام بهذين المسعيين فى نفس الوقت .
وان هذه الضرورات الثلاث لتحتم علينا اليوم ان نصعد وعى الجميع بوجوب الاسهام فى النهوض بالثقافة القومية وعدم قصر المسؤولية فى ذلك على وزارة

الشؤون الثقافية وحصرها فى دواليبها الادارية وقدراتها المالية . ذلك ان الثقافة تهم بصورة مباشرة او غير مباشرة قطاعات كثيرة منها وزارة الثقافة والتربية القومية والشباب والرياضة والاعلام وهى تهم ايضا السياحةوالتعمير والاسكان والتنمية الريفية والمواصلات والنقل وحتى قطاع الاشغال العمومية فى بلد كبلدنا لا يمكن ان ينجز فيه انجاز هام وضخم الا بتضافر كل الجهود واسهام الكثير من قطاعات النشاط القومى . ومن اغراض ورقة العمل هذه ـ فعلا ـ تحسيس هذه القطاعات جميعها العامة والخاصة منها دون استثناء وكذلك كل المؤسسات الدولية وغير الدولية وكل المنظمات القومية منها والحرة الى قضية اصبحت قضية الجميع لخطورتها ومدى تأثيرها على الحياة وعلى المجتمع . فللثقافة اتصال مباشر بالترفيه والسياحة والاسكان والمحيط وهى مرتبطة بعلم الاجتماع وبالتاريخ وبالتقدم العامى والتكنلوجى ارتباطا تعبر عنه خير تعبير حكومة المجاهد الاكبر فى خطاب السيد الوزير الاول الذى القاه أمام نواب الشعب يوم 30 ماى 1980 اذ يدعو سيادته ـ تعميقا للوعى باهمية المسائل الثقافية ـ الى « اقحام الثقافة فى الدورة الاقتصادية » ويعنى ذلك ادماج الثقافة فى مخططات التنمية الشاملة وفى سياسة متماسكة ذات ابعاد حضارية واسعة .

ولقد قام هذا النظام بدور كبير منذ الاستقلال فى تركيز الهياكل الثقافية وشحذ العزائم والهمم وتحميس النشء وابراز المواهب الكامنة فيهم وهى التى تنشط القطاع الثقافى وتسعى الى تحسين المناخ والى الدفاع عن منزلة الفنان فى المجتمع والى تمويل البحوث العلمية والمشاريع الثقافية بانواعها وعليها تلقى مسؤولية المحافظة على التراث واحيائه وتعهده بما يفرض ذلك من تنقية وغربلة وتمحيص وتنقيب . وانها لتقوم بكل تلك الادوار فى اتجاه افقى عبر كل مناطق الجمهورية وعمودى قصد ترويج الثقافة فى كامل اوساط المجتمع دون ميز وعلى اوسع نطاق . وان هذه المساعى الرامية الى تنشيط الحياة الثقافية من قبل الدوائر الرسمية لتمثل اعباء مالية وبشرية وانها رغم كثافتها لفى حاجة الى مزيد من العطاء .

وان التجارب الحاصلة فى الميدان لتشهد بأن اللامركزية الثقافية المسلوكة الى حد الآن اذا كانت تستجيب لحاجات حقيقية فان قلة المبادرات الخاصة فى ميدان الاستثمار الثقافى لا الخلق ـ اذا قارناها بالقطاع السياحى والصناعى مثلا لم تسمح بازدهار هذه السياسة وايجاد الهياكل الاساسية الكافية والتجهيزات الضرورية والاطار البشرى الكفء المتعدد الاختصاصات . وهذا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يقتضي استنباط طرق جديدة تكون في مستوى طموحات المجتمع التونسي في الميدان الثقافي خلقا ونشرا وذيوعا . وذلك بايجاد التمويلات الضرورية القادرة على تجسيم الهياكل الاساسية والتجهيزات الكفيلة بتكوين الاطارات الكفء للتنشيط الثقافي والضامنة لرجل الفكر وللمثقف الناشط والمنشط معا اسباب العيش الكريم والمنزلة اللائقة به في اطار تشريعي لابد من التفكير في ايجاده بصفة جدية وفي اقرب الآجال . وما دمنا نعتبر الثقافة اساسا لحماية المجتمع ولدفعه نحو التقدم فنحن امام مجموعة من الضرورات في الميدان الثقافي أهمها عمليات التقييم ثم الاحياء والترويج ثم الرعاية والتعهد ثم التطوير والتنمية .

وهكذا يبدو ان دور الدولة في النهضة بالقطاع الثقافي هو دور خطير وحساس في نفس الوقت وهو يحملها الكثير من التمويلات لكن ذلك لن يذهب سدى باعتبار ان الثقافة جزء لا يمكن ان ينفصل عن بقية اجزاء المشروع الانمائي الشامل ذلك ان الخطر كل الخطر يكمن في عزل النماء الثقافي عن التنمية الشاملة اذ لا سبيل لتصور تنمية حقيقية دون النهوض بالانسان ذهنيا وثقافيا واذ النماء العلمي والتقني والاقتصادي هو عنصر من عناصر النهضة في مدلولها الشامل الذي يندرج في موقفنا - في تونس - من الحياة ومن المجتمع .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فاذا نحن تمسكنا بهذا الموقف الذي لا تخفى صبغته الانسانية فاننا عن طريق معالجتنا لقضايا الثقافة ومن خلال سعينا الجديد الى تطوير ثقافتنا والى تركيزها وترسيخ أقدامها في مسالك النهضة الحقيقية نكون قد ساهمنا بقسطنا كتونسيين في حل بعض مشاكل انسان العصر ... وعلى أقل تقدير ما هو منها متصل بالتصنيع والتكنولوجيا الطاغية على العصر . ويكون اسهامنا ذاك مفخرة من مفاخرنا القومية التي جعلتنا ننتصر على الاستعمار ومحاولاته لطمس الشخصية التونسية ثم ننتصر بالتدرج وعلى مراحل على العديد من مظاهر التخلف في الجهاد الاكبر الذي نخوضه من اجل النهوض بالانسان وتحقيق العزة والمناعة للشعب التونسي حاضرا ومستقبلا .

واذ كان هذا العمل الذي تقوم به الدولة يقتضي تضافر الجهود فان رسالتنا تفرض علينا ان يكون بين جميع الاطراف المتعاملة مع المادة الثقافية ميثاق شرف يحدد الحقوق والواجبات ويضمن لهذا الميدان اخلاقية لا يخرج عنها وارضية اساسها هذا الذي يجب ان يجمع كل المواطنين من انتماء حضاري وتشبث بالديمقراطية والقيم الانسانية الخالدة .

2 ـ منطلقـــات

على ضوء هذه الملاحظات العامة وبعد الدراسة المستقصية للوضع الثقـافي العام في تونس يبدو ان الجدلية بين التصور والتطبيق لبلوغ ديناميكية حقيقية للتفكير والعمل الثقافيين في نطاق مخطط التنمية المقبل قد تعتمد ما يلي :

1 ـ مقاومة تهميش الثقافة لجعلها في متناول كـل الاعمار وكـل الفئـات الاجتماعية منتشرة في جميع جهات البلاد .

2 ـ ادماج الثقافة في الدورة الاقتصادية بحيث تصبح مسانـدة الاقتصـاد للثقافة ومساندة الثقافة للاقتصاد فرض لزوم من فروض التنمية الشاملة .

3 ـ تجاوز القطاعات الثقافية التقليدية الـتى ألفنا حصر الذهـن فيها كلما تحدثنا عن الثقافة كالموسيقى والسينما والمسرح والادب لا لاننا نهملها وانما لا نرى فائدة في الاطناب بذكرها كاختيارات قطاعية ضرورية اذ نحن متفقون على ما نريده منها كما وكيفا وفقا للارضيـة الثقافية المشتركـة بيـن جميـع التونسيين كما نص عليها الامر المؤرخ في 30 اكتوبـر 1975 الضابط لمهـام وزارة الشؤون الثقافية . ولئن اضطررنا احيانا الى التذكير بتلـك الاختيارات الاساسية المتفق عليها وفقا لذلك الامر بل ومنذ تأسيس الوزارة في عام 1961 فانما نكتفي منها بالاشارة لنعمق النظر من خلال هـذا الكشف التحليـلي في اتجاهات ثقافية جديدة مثل :

* البحث والتوثيق في ميدان التنمية الثقافية .

وفي هذا المجال ركزنا لاول مـرة بدءا مـن جانفي 1981 مكتبـا للاحصـاء والتوثيق فبدأ يعمل بانتظـام .

* التبادل الثقافي بين الجهات ومزيد العناية بالشباب
* اشعاع ثقافتنا في الخارج وتأطير العمـال التونسييـن وتأصيلهـم في ثقافتهم القومية .
* ادماج التكوين الثقافي في جميع مراحل التربية والتعليم .

4 ـ وسائل تطبيق السياسة الثقافية القومية وهي :

* الوسائل المالية التقليدية وبالخصوص الوسائل المبتكرة المتأكدة .
* التشريع الملائم .

* الهياكل المناسبة .
* اطار الاحاطة والتنشيط قاعديا وأفقيا .

3 ـ **الثقافة حماية اجتماعية :**

ان التخلف الثقافي لشديد الخطورة اذ يتيح الفرصة للانحلال في جميع المستويات . أما اذا كانت الثقافة مشعة قوية فانها تكون حماية اجتماعية تقي الانسان وخاصة الشباب بطاقته الزائدة شر المسخ والتشتت والانخرام .

قد دأبنا ـ من قبل ـ على اعتبار الحماية الاجتماعية ضمانات اجتماعية كالعلاج والمنح العائلية وجراية التقاعد ومنحة الشيخوخة وما الى ذلك . وهي بلا شك ضمانات ضرورية وينبغي توسيع مظلتها الا انها تكون منقوصة مبتورة فلا يلبث الجسم الاجتماعي رغم وجودها ان يضعف وربما يتهرى اذا لم نضف اليها الضمان الثقافي على أساس كونه بحق حماية اجتماعية و « عامل انتاج وحضارة » و « حافزا للصمود في وجه التيارات الجارفة والشهوات السافلة والتحكم في النفس » كما عبر عنه المجاهد الاكبر الحبيب بورقيبة في بيانه بمناسبة انعقاد الندوة القومية للجان الثقافية بالكاف يوم 15 سبتمبر 1968 .

4 ـ **الثقافة والشباب :**

أ ـ الشباب المدرسي :

اذا تحدثنا عن الثقافة وتناقشنا في شأنها فاننا نعود الى الحديث عن الشباب شباب المدارس وشباب المعاهد والشباب الطالبي والشباب الريفي والشباب العمالي في المؤسسات الاقتصادية وفي الادارات . ويمثل مجموع الشباب الذي لا يتجاوز الخامسة والعشرين نسبة 60 ٪ من السكان ، وجله متحصل على تعليم يقوى فيه الوعي وله طاقة زائدة لكنه في عزلة لا يقدر على الالتحام بنشاط ثقافي ترفيهي وتكويني في جل الحالات .

ونحن نعلم ضرورة التواجد المتواصل للفن في الحياة ليجد به الانسان توازنه لا سيما في عهد الطفولة والصبا والشباب وبالاخص في فترة المراهقة . **ولا سبيل الى تأصيل الفن في الكيان الا اذا أدرجنا الثقافة الشاملة** بصفة رسمية وجدية في **برامج التعليم** بمختلف مراحله .

ان شبابنا الذى يؤم المدارس بعدد يبلغ (1.286.950) نسمة حسب احصاء عام 1980 يمثل نسبة خمس السكان ويتوزع على النحو التالى :

- (20.702) فى رياض الاطفال .
- و (994.190) فى المدارس الابتدائية .
- و (241.908) فى المعاهد الثانوية .
- و (30.150) فى الجامعة والمدارس العليا .

فاذا اضفنا اليهم (563.000) عامل فى القطاع الاقتصادى من الشباب الذى لم يتجاوز الثلاثين عاما والشباب المنتظر للشغل القار وعدده يبلغ (205.900) دون الثلاثين عاما أيضا حسب احصاء 1980 ادركنا بداهة ان ثلث الشعب التونسى يحتاج فى تلك المرحلة من العمر الى الحماية الثقافية فى أماكن التكوين ومواطن الشغل فضلا عن احتياجه الى التنشيط الثقافى الترغيبى النظيف خارج أوقات الدراسة والشغل فى الاحياء .

وفى الكشف السابق ما يقوى يقيننا بضرورة العناية الفائقة بالشباب وذلك بتوفير الاطار الثقافى الجيد والتجهيز الاساسى اللازم حتى نجنب شبابنا الشعور بالضياع ومعاناة الفراغ الثقافى الذى يفرز التوترات والتميعات وينبت الاحقاد فى النفوس .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

جميع الناس فى حاجة الى استهلاك المادة الثقافية وبالاخص الشباب نظرا الى ما له من طاقة زائدة إن لم يصرفها فى الخير ليستفيد بها جسمه وروحه وعقله وذوقه فهو لا محالة صارفها فى ما يلحق الضرر به وبمجتمعه . لكن الحاجة الى المادة الثقافية تختلف من شخص الى آخر ومن صنف من الشباب الى صنف آخر .

وان تلقى الرسالة الثقافية ليس من جهة أخرى شيئا آليا اذ يجدر تربية المستهلكين للثقافة بتعبئة اهتماماتهم وشحذ احساساتهم لتتيسر عملية القبول للثقافة عندهم فيتهيؤوا لتحسين منزلتهم البشرية ويضطلعوا بها كما يجب .

فبعد التربية الاساسية التى نوفرها للافراد بواسطة التعليم والتكوين المهنى يجب ان نوجد لهم الشبكة الثقافية القادرة على سد حاجتهم للاستهلاك مع مراعاة محيطهم الاقتصادى والاجتماعى .

وفي هذا السياق نشير الى أن الشبكة التي تخدم الموظف المدني لا تشبه الشبكة المجعولة لفلاح الريف وللعامل العائش في محيط صناعي ومنجمي .

وعمليا فان الحالة الموجودة الآن جد رديئة بالنسبة للفلاحين والعملة اذ أنها لا تيسر الاستهلاك الثقافي فينجم عن تلك الحالة الرفض او الهضم الردىء للمنزلة البشرية وقد يؤول الامر الى اليأس وحتى الى العصيان والسلوك المنحط في الشوارع .

5 ـ الثقافة والمحيط الصناعي :

ان القوى العاملة الفعلية في البلاد تبلغ (1.550.000) نسمة بما فيهم (205.000) عاطل او عامل غير قار حسب آخر احصائية عام 1980 . وهناك (220.000) غير معلن عنهم فيكون مجموع القوى العاملة الفعلية في البلاد (1.770.000) من مجموع السكان البالغ في أواخر 1980 (6.369.000) نسمة .

ومن بين القوى العاملة الفعلية اى المليون وسبعمائة وسبعين الف نسمة نجد (206.361) يشتغلون في الميدان الاداري . والبقية أي (1.564.639) ـ من بينهم (563.000) شاب دون سن الثلاثين ـ هم أناس يعملون في القطاع الاقتصادي .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وكثيرا ما يتميز محيطهم بظروف عمل قاسية وأحيانا جهنمية حيث يخضع العامل لنظام قد يفقده شخصيته ويرهقه . فالحل في تلك الحال ايصال الفن الى مواطن الشغل والسماح للعامل بالتعبير عما يكمن فيه من امكانات التعبير الثقافي والخلق الفني مع اختيار ما يلائمه من انشطة تخرجه من توتره وتثري شخصيته .

والعامل الذي يمارس الثقافة هو عنصر ترويج لها اذ ما يكاد يجد الامكانات حتى ينشىء في بيته وسائل شخصية تمكنه من الانتاج والاستهلاك الثقافي . وهكذا عندما تنقل الثقافة من مركز الشغل الى المنزل فانها تروج وتمتد الى الاطفال والاحباب فيرتفع المستوى الثقافي الاوسط في الشعب .

ان نفسية الانسان وبالخصوص نفسية المراهق هي في سعي دائب وراء نشاط وفعل يملآن الفراغ . وكلما ازداد الفراغ اتساعا ازدادت حيرة الشباب وانساقوا في سبيل الطفرة والتطرف في التفكير والاعمال .

ان جل علماء الاجتماع يعللون التشتت المذهبى والانحراف الشبابى والاجرام المبكر بالفراغ الثقافى المرتبط بالبيئة المتخلية عن التربية والتثقيف . ونحن فى تونس نحتاج الى أن نثقف بالقدر الذى نعلم حيث لا يحدث اختلال فى التوازن .

وليس من باب الصدفة ان نجد الانحراف فى بعض الاحياء السكنية الجديدة يصل احيانا الى حدود مفزعة فتبلغ نسبة المنحرفين فى تلك الاحياء 60 ٪ من شبابها .

فيجدر بنا دراسة هذه المسألة بكل دقة لان جل سكان تلك الاحياء من النازحين وإنهم لمنبتون مرتين :

– الاولى أنهم مقتلعون من ثقافتهم الريفية .

– والثانية أنهم لم يدمجوا فى نمط الثقافة الحضارية (ثقافة اهل المدينة) . وهذا ينجم عنه شعور بالعزلة والقلق ورفض للمساهمة فى مسيرة التنمية .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

6 ـ مقترحات عملية :

ولتدارك هذه الأوضاع التى تنم الآن عن فراغ ثقافى خطير بالامكان التقدم بمقترحات عملية تتمثل فى استنباط طرق عمل جديدة وفى تشريعات يتعين سنها انطلاقا من الواقع :

* ففى ميدان الفنون والتقاليد الشعبية نكاد لا نفرق اليوم بين البضاعة السياحية الرخيصة والبضاعة الفنية الاصيلة . ولا فائدة فى ذكر الامثلة فهى معروفة .

* وفى ميدان المكتبات العمومية لنا فى تونس العاصمة 720 مقعدا فقط لحوالى 250.000 تلميذ بين المدارس والمعاهد أى بنسبة مقعد واحد لـ : 350 فردا .

* أما المكتبة الوطنية فليس بها الا 84 مقعدا لحوالى 28.000 طالب أى بنسبة مقعد واحد لكل 331 فردا .

* أما بخصوص قطاع السينما ففى الجمهورية كلها 87 قاعة للعروض منها ثلاثون (30) بالعاصمة وضواحيها فى حين لا تملك ولايتا زغوان ومدنين ولو قاعة واحدة للعروض السنمائية .

* وأما المسرح فانه يشكو فقرا مدقعا . فثمت ثلاثة مسارح بلدية فى كل من تونس وسوسة وصفاقس . والبقية تتمثل فى مسارح « الهـواء الطلـق » ولا تستعمل الا فى فصل الصيف .

* وأما فى الميدان الموسيقى فليس فى البلاد بأكملها سوى خمس مدارس لا تؤدى وظيفتها كما يجب .

وبدون تعداد أطول للامثلة الناطقة بأرقامها ولا ذكر للتمويـلات الضعيفـة ولا للمشاركـة الثقافية الفعلية التى تكاد تكـون مفقودة فى الجماهيـر وفى الوسط الطالبى بالخصوص ــ اذ لا يملك المركب الجامعى والاحياء الجامعية مثلا باستثناء بعض المدارس العليا كالمدرسة القومية للمهندسين أى تجهيز ثقافى ــ نستطيع أن نستنتج من هذا الثبت المحاور التالية ، وأملنا أن نتدارك ما فاتنا لنجعل الثقافة وسيلة ناجعة للبناء الحضارى تمكن من :

- رفع مستوى الفرد ليرتفع مستوى المجتمع .
- اعطاء قيمة للذاتية الثقافية .
- صيانة الثقافة القومية .
- التشجيع على الخلق والابتكار فى جميع القطاعات الثقافية .
- الدفاع عن القيم الانسانية .
- مقاومة الفراغ الفكرى والروحى .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وسائل تحقيق الخطة الثقافية الجديدة :

لتحقيق الغايات المنشودة لابد من اعداد خطة ثقافية مناسبة وتحديد معالم سياسة ثقافية جريئة تامة وفعالة . ولا بد من دفع الثمن لانجـاز المشـاريع وتحقيق الآمـال .

هذه السياسة الثقافية ترتكز على الاختيارات التالية :

1 ــ الثقافة والاقتصـاد :

لاشك أن الهدف الاقتصادى هـو توفير الانتـاج والزيـادة فى المداخيـل وتحسين الانتاجية ، ولكن التنمية الاقتصاديـة هى فى الآن نفسـه وسيلـة للنهوض بالانسان ولتحسين ظروف عيشه وتهذيب نمط حياته . ولذا ظهرت الحاجة الآن الى اضافة البعد الثقافى ــ وهو البعد الحضارى الى مفهوم التنمية .

حتى البلدان المصنعة التى كانت تظن ان التنمية اقتصاد وتكنولوجيا ومواطن شغل واستهلاك مادى وأرقام فقط فانها تراجع اليوم تصورها للتنمية لانها وجدت نفسها فى طريق مسدود تعانى مضاعفات التلوث البيئى المادى والاخلاقى ، وتواجه مشكلات الذاتية الثقافية المطوقة بالتكنولوجيا ، وتبحث عن سبل جديدة لتحقيق نمط آخر من النمو يراعى جودة الحياة ، ويحمى المحيط الطبيعى والبيئى ، ويضيف البعد الثقافى للتنمية الاقتصادية ، ويعطى الثقافة مفهوما واسعا يشمل كل المظاهر الانتاجية سواء كانت تكنولوجية أو جمالية فنية او اقتصادية . وعلى هذا الاساس اعتبرت التنمية الثقافية جزءا لا يتجزأ من التنمية الشاملة .

فى عصر العلوم والتكنولوجيا لم تعد الثقافة منغلقة على نفسها ، ينفرد بها رجال الفن ، وتهتم بها الحكومة وحدها . بل ان الثقافة اصبحت فى عديد من البلدان منذ سنوات قليلة من اهتمامات رجال الاعمال والباعثين الصناعيين الذين يساهمون فى خلق الثروة واستخدام التقنيات الجديدة لغاية توفير الانتاج وتحسين الانتاجية . فلم لا تكون الثقافة ضمن تلك الميادين ؟ أليس التراشح ضروريا بين الثقافة والتكنولوجيا فى عصر غزو الفضاء ؟ ألا ترى أن « الاولغرافيا L'holographie أى نقل البضاعة الثقافية بواسطة الاشرطة وأشعة لازر — وهى تقنية مستقبلية يعود تاريخ اكتشافها الى سنة 1974 — سوف تمكن من ايصال معروضات متحفية بتمامها كالتماثيل والمعالم الاثرية الى أماكن بعيدة فى متاحف أخرى ليشاهدها الزوار بأبعادها الثلاثة وبأحجامها الطبيعية . وهذا سوف يجنب مالكى التراث والحكومات نفقات النقل الباهضة ويحمى التراث المنقول من بلد الى آخر من آفة التلف أو التهشيم ويقربه من الناس مهما بعدت مواطنهم (*) .

قد يبدو هذا التصور جديدا عندما تركز عليه اهتماماتها بعض الجهات المسؤولة كاليونسكو اليوم . ولكن الرجل الذى عرف بسبق الاحداث قد نبه

(*) راجع الوثيقة المتعلقة بالمائدة المستديرة التى أعدتها المنظمة العالمية للاتصال الثقافى F. C. C. I. يومى 8 و 9 مارس 1979 بمقر اليونسكو حول المسؤولية المشتركة للفن والصناعة فى تطور الثقافة المعاصرة :

"Round - Table Conferance : Mutual Resposability of the Arts ans Industry for the Development of Culture Today - Finale Report". Fondation For The Communication of Culture Internationl Paris office : 15 Avenue Victor Hugo.

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

فى الماضى القريب والبعيد الى أهمية الثقافة فى مجال التنمية الشاملة بما تحققه من تطوير لمواهب الانسان وقدراته وما يتأتى عنها من التأثير الايجابى فى مختلف مجالات النشاط فيصبح الانتاج ذاتيا نابعا من الكيان لا مملى على الانسان من عل اذ قال المجاهد الاكبر فى خطاب له بالندوة القومية للجان الثقافية يوم 15 سبتمبر 1968 بمدينة الكاف :

« انى كثيرا ما أعمد فى اجتماعات مجلس الجمهورية الى ترجيح كفة الثقافة مؤكدا ان لها فائدتها وجدواها حتى فى شؤون الزراعة والتجارة وغيرها .. » ثم اشار فخامته فى ذلك الخطاب التاريخى الى ظاهرة ارتفاع الانتاج بارتفاع المستوى الثقافى .

ونحن نعلم ان الكثيرين يستنكفون من تسليط المفاهيم الاقتصادية على المادة الثقافية وينفرون من استمداد المقولة المتصلة بالمادة الثقافية من لغة الاقتصاد كـ « الاستهلاك الثقافى » ، و « الصناعات الثقافية » و « العرض والطلب لمنافع ثقافية » ، و « سوق الفن » .

انها لمفاهيم مرتبطة بالتصور الاقتصادى تجعل النافر من ذاك الترابط والتواصل بين الاقتصاد والفن ينطلق من مانوية أكل الدهر عليها وشرب تتمثل فى التفريق بين المنافع المادية من جهة والمنافع الروحية والفكرية والفنية من جهة أخرى فى رفضه للتصور الجديد الذى تنادى به اليوم منظمة اليونسكو والبلدان المصنعة التى أخذت تراجع رؤاها الثقافية . فنحن اذن مدعوون سواء احببنا أو كرهنا الى اعتبار الثقافة الشمولية الديمقراطية فى واقع عالمنا اليوم بضاعة تستهلك ويحتاج انتاجها الى تصرف حكيم فى اتجاهات ثلاثة :

أ ـ ما يضطلع به تماما القطاع العام أى الحكومة والجماعات العمومية .

ب ـ ما يدعم من القطاع الخاص فى الميدان الثقافى بتمويل وتشجيع تشريعى وغيرة صادرين عن السلط العمومية على الصعيد القومى والجهوى والمحلى .

ج ـ ما يترك كله للقطاع الخاص ولكنه يقيد بالتشريع والتقنين .

ومما يجدر ذكره فى هذا الصدد ان حرية القطاع الخاص فى الميدان الثقافى ليس معناها التهور بترك الحبل على الغارب اذ تكون الصناعات الثقافية كالاسطوانة « والكاسيت » والكتاب الثقافى والفيلم والانتاج التلفزى والاذاعى الثقافى وما الى ذلك خاضعة للقوانين والترتيبات كالتشريع الخاص بدعم

الورق الثقافي من صندوق التعويض بما لا يقل عن خمسمائة ألف دينار سنويا يعوض بها جزء كبير من تكاليف الورق بعد انهاء الطبع والتثبت من ذلك وفقا لشروط معينة ، وكالتشريع المتعلق بتشجيع القطاع السينمائي وكلاهما وردا في قانون المالية لسنة 1981 .

هكذا شرعت الدولة في معالجة الصناعات الثقافية كغيرها من الصناعات الاخرى المقننة بالتشريعات ، وهذا التصور كان من قبل حلم الكثيرين في ميدان السينما وها هو اليوم يتحقق فيصبح الاستثمار في قطاعي السينما والكتاب يعامل بنفس المعاملة التي يجدها الاستثمار الصناعي كالسياحة من لدن الدولة .

وينبغي ان نواصل السير في هذا الاتجاه للنهوض بالثقافة من حيث الجودة والابداع من جهة ولتنمية الانتاج الثقافي من جهة أخرى لتعم فائدته في الداخل بمشاركة جميع المواطنين ، ويتوفر ما يجوز تسويقه في الخارج وتصديره فتتفتح ثقافتنا على العالم كما يتفتح العالم لقبولها واستهلاكها اكثر فأكثر .

هذا هو الرهان في تصورنا الجديد لثقافة تصبح خدمة اجتماعية ومنفعة عمومية فتسلم من الكدية والاحتياج وتنطلق انطلاقة مباركة مرجوة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قد تبدو هذه النظرة حلما من أحلام الفلاسفة وضربا من التصور الشعري لكن من لا يحلم تفلت عنه رؤية الدليل الى الزمن الآتي اذ ان كل من يريد انجاز عمل طموح لابد له من أن يحلم بما يريد انجازه وأن يحمل المشروع في صميم كيانه ليتحرك بارادة الانجاز فيخرجه من طور القوة الى طور الفعل . ويمثل تلك الارادة السياسية حققت الدولة في فجر عام 1981 المكاسب الجديدة العظيمة للكتاب الثقافي وللقطاع السينمائي ، وستحقق لهما ولغيرهما من القطاعات المزيد من الدعم والتشجيع في مستقبل الايام ان شاء الله .

2 ـ التمويلات الثقافية :

في اطار ربط الثقافة بالاقتصاد ، وبعد الدراسة والتحليل والاستشارة ستنكب اللجان الاستشارية كل حسب اختصاصها على اقتراحات مضبوطة تهم التنمية الثقافية في مجال جمع الاموال والاستثمار والتقنين والتشجيع والتأطير .

ان التجريد الكشفي لميزانية وزارة الشؤون الثقافية يدل على ان ذاك الميزان – رغم المجهودات المبذولة – لم يتطور الا باحتشام منذ تأسيس الوزارة نظرا لانهماك الدولة فى مشاغل أخرى أكيدة تطرحها المعاناة اليومية على التصرف السياسى كالتشغيل والتعليم والصحة وكل ذلك ضرورى ولكنه لا يكفى وحده – اذا تضاءلت الثقافة – لتحقيق توازن الجسم الاجتماعى . وهاك تجريدا مختصرا لذاك الميزان :

أما العنوان الاول (أى ميزان التصرف) فقد بلغ فى سنة 1977 (3.870.000 د) أى نسبة 1،16 ٪ من حجم ميزانية الدولة للتصرف . وقد تضاعف فى سنة 1981 فبلغ : (6.093.000 د) أى نسبة 0،984 ٪ من ميزانية الدولة للتصرف . وتتوزع مصاريف العنوان الاول فى سنة 1981 على النحو التالى :

* مصاريف المرتبات والاجور : (2.784.000 د) أى نسبة 45،6 ٪ .
* مصاريف اللوازم والتصرف الادارى (392.000 د) أى نسبة 6،4 ٪ .
* منح للمؤسسات العمومية (1.240.000 د) أى نسبة 20،3 ٪
* التدخل المباشر فى الميدان الثقافى (1.142.000 د) أى نسبة 18،7 ٪
* التدخل غير المباشر فى الميدان الثقافى (535.000 د) أى نسبة 8،7 ٪ .

وأما العنوان الثانى (أى ميزان التجهيز) فقد بلغ فى سنة 1977 (1.497.092 د) موزعة على النحو التالى :

* صيانة التراث (435.965 د) أى نسبة 29،12 ٪ من كامل العنوان .
* التجهيز الاساسى (429.521 د) أى نسبة 28،69 ٪ من كامل العنوان .
* التأثيث الاساسى (120.000 د) أى نسبة 8،01٪ من كامل العنوان .

وانخفض حجم الاعتمادات فى العنوان الثانى لسنة 1981 فصار (1.350.000 د) موزعة على النحو التالى :

* صيانة التراث (383.264 د) أى نسبة 28،39 ٪ .
* التجهيز اللاساسى (250.000 د) أى نسبة 18،52٪ .
* التأثيث الاساسى (40.000 د) أى نسبة 2،96 ٪ .

فهذا التجريد المقتضب يفصح بأرقامه عن مدى ضحالة الاعتمادات المرصودة سواء للتجهيز الاساسي او لتنشيط العمل الثقافي أو لتشجيع الابداع الفني والادبي .

غير أن جزءا آخر من العمل الثقافي للدولة يفوت وزارة الشؤون الثقافية اذ هو من انظار وزارات أخرى كوزارة التربية القومية والشباب والرياضة والشؤون الاجتماعية والاعلام التي تعنى ببعض الجوانب الثقافية .

3 ـ اقحام المباني الثقافية في المشاريع السكنية والاقتصادية :

ومع ذلك لو اقتصرنا على ميزان الدولة عموما وعلى ميزان وزارة الشؤون الثقافية خصوصا لحكمنا على أنفسنا الى حدود عام 2000 بالعجز عن تحقيق طموحات شعبنا في ميدان التجهيز والتأطير والتنشيط الثقافي لـذا وجـب التفكير في سن تشريع عام يفرض على الباعثين العقاريين والصناعيين اقحام بنايات ذات استعمال ثقافي في مشاريعهم تختلف اهميتها باختـلاف حجـم كل مشروع وتصنف الى ثلاثة أو أربعة أصناف حتى لا يوكل الامر الى الاجتهاد الفردي . ويمكن تعميم ما جاء في القانون الداخلي للصندوق القومي للتقاعد الحيطة الاجتماعية الذي ينجز مشاريع سكنية هامة .

فاذا آمنا الآن بضرورة التمويل الكافي للاشعاع الثقافي القومي في الداخل والخارج فعلينا اعانته بالاجتهاد في تصور التمويلات المبتكرة وبالعمل الجدي على استخدام موارد جديدة غير معهودة من قبل اذ لو اقتصرنا كما بينا عـلى ميزانية وزارة الشؤون الثقافية في حجمها الحالي أو في حجمها المنتظر ـ عندما ترتفع نسبها من سنة الى أخرى ـ فسوف لا نستطيع مغالبة المشاكل المادية التي لا مفر منها في تطبيق الاستراتيجية الثقافية .

ولذا نطرح على اللجان الاستشارية فكرة ايجاد ابواب من التمويلات اخرى لا تكلف ميزانية الدولة عبئا جديدا أو يكـون ذلك امـا بالتشجيـع المباشر للمنتجين الثقافيين واما بالتعويض لمن ينهض بقطاع ثقافي أو يجهزه ومـا الى ذلك ويمكن تلخيص أهداف هذه التمويلات الجديدة فيما يلي :

* تشجيع الانشطة الفنية والادبية .

* بناء وتوسيع وتعصير وشراء عقارات تخصص للانشطة الثقافية : (قاعات عروض سينمائية ـ أروقة لعروض الفنون التشكيلية ـ مراسم ـ دور ثقافة ـ استديوهات للتسجيل الموسيقي والسينمائي الخ ...) .

* شراء معدات للانشطة الثقافية وايجاد أرصدة من الآلات الموسيقية وآلات النحت والرسم والوسائل السمعية البصرية الخ ... لتشجيع الجمعيات الفنية والافراد الموهوبين بتمكينهم منها مجانيا أو بأسعار رمزية .

* اعانة الجمعيات الثقافية التى هى تحت رعاية الوزارة على كراء وامتلاك محلات تكون مسخرة للعمل الثقافى ومساعدة تلك الجمعيات بالغاء أو تمديد الالتزامات الرهنية الخاصة بتلك المحلات .

* المشاركة فى تمويل المشاريع الثقافية الخاصة ذات المصلحة العامة .

* التشجيع على البحث الثقافى داخل البلاد وخارجها .

* رصد المنح والجوائز للمسابقات الادبية .

4 ـ مؤسسة الرئيس بورقيبة للتنمية الثقافية :

الى جانب البحث عن هذه التمويلات يحسن لحفز الهمم بعث مؤسسة الرئيس الحبيب بورقيبة للتنمية الثقافية تضطلع بتشجيع الخلق الادبى والفنى الممتاز المرتبط بتراث تونس وتاريخها . وتكون هذه المؤسسة دعامة للصندوق القومى للتنمية الثقافية .

ARCHIVE

5 ـ تشجيع القطاع الخاص على الاستثمار فى الحقل الثقافى :

تعميم مثالى السينما وصناعة الكتاب فى سائر القطاعات الثقافية ويكون ذلك باصدار قوانين على غرار مجلة الاستثمارات وقانون رقم 35 بتاريخ 26 جوان 1969 وأمر عدد 339 بتاريخ 2 سبتمبر 1966 ويتعلق بتشجيع الدولة على بناء النزل السياحية وقانون افريل 1972 وقانون 74 لسنة 1974 .

واذا نجحنا فى تحسيس اصحاب الاموال من الخواص بأهمية القطاع الثقافى كمجال استثمار مربح ووفرنا لهم التشريعات المشجعة فانهم لا محالة مقدمون على مبادرات هامة سوف تساعد على ازدهار الانتاج الثقافى ورواج بضاعته فيخف العبء عن الدولة وتتوفر مصادر جديدة لتنمية الاقتصاد الوطنى ويتواجد المزيد من مواطن الشغل .

ويتأكد اليوم واجب تحسيس المستثمرين والباعثين الصناعيين بأن رجل الفن والثقافة يستطيع أن يقوم بدور فعال فى تنشيط الاعمال بلمساته الابداعية وببصماته الفنية التى يستفيد منها القطاع الصناعى والقطاع التجارى

ويجدر فى هذا الباب استنباط المؤسسات التى يتمثل عملها فى الدراسة والاستكشاف التقنى والمالى للمشاريـع الصناعية ذات الصبغة الثقافيـة مع تشجيع وتسويق منتوجنا الثقافى القومى فى الخارج .

6 ــ الهياكـل الثقافيـة :

فى الخطة الثقافية المستقبلية يجب اعادة النظر فى بعض الهياكل والمصالح الموجودة بالوزارة أو التى تعود اليها بالنظر لاعطائها الدفع الجديد وما تستحقه من المنزلة والعناية ، ولتجنيب المصالح الفنيـة التردى فى الرتابـة الاداريـة (البيروقراطية) التى تحد من النشاط الاصلى اذ تحول المنشطين والفنيين الى موظفين ميالين الى الرتابة .

وكذلك يجب اعادة تنظيم كافة الهياكل الثقافية التابعة للوزارة بما يتماشى وتطور المستوى الثقافى والاجتماعى لشعبنا عموما ولشبابنا خصوصا .

ويجب ايضا ان نعمل على تطويع اللجان الثقافية لتكون بقربها مـن الواقع الجهوى والمحلى ساهرة عـلى التنشيط والتشجيـع والتنسيق بيـن مختلـف النشاطات الثقافية لا محتكرة للثقافة ولا موظفة اياها .

ولا بد من تجسيم اختياراتنا بعد الشورى فى صيغ عملية وتراتيب قانونية

والمهرجانات الدولية من جملة الهياكـل التى تستوجـب المراجعة لجعلهـا تتويجا حقيقيا لانشطة ثقافية متواصلة فى البلاد وتزكية لاحسـن ما ينتجـه أدباؤنا وفنانونا على أن تكون البرامج المستوردة لتلك المهرجانات او المبرمجة فى نطاق التبادل الثقافى من اعلى مستوى وفرصة للحوار بين ثقافتنا القومية فى ابرز ما عندها وبين ثقافات البلدان الشقيقة والصديقة ومناسبة للتراشح والتكامل لا لغمر ما عندنا .

ان دعم اللامركزية والديمقراطية يتم ايضا بتنسيـق الممارسـات الثقافية وذلك بـ :

أ ــ تنسيق عملنا مع الوزارات التى لها انشطة ثقافيـة كـوزارة الشبـاب والرياضة ووزارة التربية القومية ووزارة التعليم العالى والبحث العلمى ووزارة الاعلام ووزارة الشؤون الاجتماعية .

ويقع العمل على تحقيق التناسق بين الوزارات بتأليف لجان لضبط وجوه التعاون والتكامل وتوفير أنجع النتائج وتجنب التكرار وهدر الامكانات حتى تستفيد البلاد استفادة أتم وأحسن من الهياكل والتجهيزات والاطارات الموجودة سواء فى دور الشعب أو الثقافة او الشباب أو فى النوادى الخاصة والنوادى داخل المؤسسات الاقتصادية . وقد شرعنا بعد فى هذا التنسيق مع الوزارات فى مواضيع مخصصة كتوسيع مشمولات البلديات ودعم الورق الثقافى والتصور المشترك لاستعمال دور الشباب والثقافة والشعب .

ب ـ ربط الصلة المتواصلة مع مجالس الولايات والمجالس البلدية :

واللامركزية الثقافية مع مجالس الولايات والبلديات خصوصا تعنى توسيع مشمولاتها لتضطلع بالتعهد اليومى للبنايات ذات الصبغة الثقافية وبالتصرف فى الاموال التى ترصدها وزارة الشؤون الثقافية للتجهيز الاساسى على ان يبقى التأطير والتسيير الفنى من مشمولات وزارة الشؤون الثقافية حرصا على توحيد الرؤية القومية والمناهج الثقافية التربوية الاساسية ثم يكون باب الاجتهاد مفتوحا على ذاك الاساس .

ولرئيس البلدية ان يبدى رأيه فى النشاط الثقافى بمنطقته **بواسطة لجنة الثقافة المنبثقة عن المجلس** البلدى والتى من حقها المساهمة فى برمجة العمل الثقافى وتنفيذه واستنجاب الكفاءات من هواة الثقافة واجتلاب الشخصيات الثقافية المرموقة لتتعزز بقدراتهم وتصوراتهم ومشاركاتهم المباشرة أعمال اللجان الثقافية المحلية والجهوية التابعة للوزارة فنخرج بها من الطوق الروتينى المضروب عليها ومن التوظيف المجحف الذى كاد أن يقتل الثقافة فى الجهات بالسلوك البيروقراطى وبالمستوى الهزيل .

وفى هذا المساق على الكاتب العام أن يكون المحرك والمنفذ الذكى لما يخطط للعمل الثقافى فى المستوى القومى والجهوى والمحلى وأن لا يعتبر نفسه مجرد موظف .

ج ـ تشجيع المبادرات الثقافية الطيبة التى تصدر عن اللجان الثقافية الجهوية والمحلية والبلديات والخواص .

د ـ المجلس الاعلى للثقافة :

فى نطاق توسيع الاستشارة وتعميق الحوار مع أهل الذكر من رجال المسرح والادب والموسيقى والرسم وغيرهم نص الامر الضابط بتاريخ 30

اكتوبر 1975 لتنظيمات وزارة الشؤون الثقافية على بعث مجلس اعلى للثقافة كهيكل استشارى لدى الوزير .

هـ ـ تخطيط برامج العمل مع منظمة التربية والثقافة والعلوم ومع منظمة اليونسكو ووكالة التعاون الثقافى والفنى :

ويحسن تكوين فريق عمل أو لجنة فنية بمشاركة جميع المسؤولين الذين يهمهم الامر لمتابعة المشاريع التى تحظى بمساعدة المنظمات الدولية .

ولا سبيل الى تخطى العقبات فى الميدان الثقافى والخروج من الطوق الا باستعمال ابداعات ومهارات رجال الثقافة والفنون والآداب وتعبئة اهتماماتهم واهتمامات السكان المولعين بالثقافة وكذلك اهتمامات الموهوبين من اطارات التعليم الذين لهم شغف بالفنون والآداب ويمكنهم بعد الرسكلة والتكوين الميدانى المكثف والسريع ان يضطلعوا بالتنشيط المسرحى السنمائىوالموسيقى وغيره فى أوقات الراحة مقابل تشجيعات مرغبة ريثما نوجد الاطار المختص المتفرغ . وبالمربين الممتازين المكونين فى الفنون تكوينا ميدانيا حسب الموهبة والهواية نضمن على الاقل حسن المستوى التربوى وجودة العطاء الثقافى فنرفه عنهم ويرفهون عن الناشئة والوسط البيئى حيثما وجدوا ويشعون اشعاعا محمودا يشحذ العزائم فى مسار التنمية الشاملة . وقد جربوا فى المسرح المدرسى فى الستينات فصحت التجربة وكان عملهم تطوعا .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تلك الامثلة سقناها تأكيدا على وجوب مراجعة أنفسنا واعادة النظر فى التربية الفنية وفى نوعية التكوين والاهتمام باطار التدريس وبمناهجه وتركيز تفقدية عامة للفنون والآداب غير التفقدية العامة للشؤون الادارية والمالية وايجاد منشطين بيداغوجيين فى مختلف الفنون والآداب وليس لنا الآن منهم ولو واحد لتعهد التعليم بمدارسنا المختصة .

ولذا يجب تخطيط استراتيجية على المدى القريب والمتوسط والبعيد لتكوين اطارات التنشيط الثقافى المؤطرة بدورها . ونأمل ان يساعدنا على تحقيق هذا خاصة معهد تكوين المنشطين الثقافيين الذى ترعاه وزارة الشؤون الثقافية بمساعدة منظمة اليونسكو وينبغى اصدار قانونه الاساسى ومراجعة طريقة انتداب اطار التدريس به وبرامجه باعتباره معهد تعليم عال . أما الوضع فى الكنسرفتوار وسائر مدارس الموسيقى فهو يحتاج الى تصحيح .

7 ـ الثقافـــة والاشعـــاع :

ان ادماج الثقافة فى المسيرة التنموية عمل دناميكي يشتمل على أمرين :

* العمل فى الداخل على انماء الذاتية القومية والمشاركة فى الحياة الثقافية
* العمل فى الخارج على التعريف بثقافتنا وجعلها فى مستـوى التجـارب الثقافية العالمية لان احترام الامم هو فى الحقيقة احتـرام لشخصياتهـا الثقافيـــة .

ومن جهة اخرى وفى نطاق التنشيط الثقافى بالخـارج نـرمى الى مقاومـة ظاهرة تهميش جالياتنا الطالبية والعمالية بالخارج وانعزالها واجتثاثها .

* ولذا نقترح اصدار نص قانونى لخطة ملحـق ثقافى بسفاراتنـا يختاره وزير الشؤون الثقافية ويكون ذلك الملحق حقيقـة من اهـل الثقافة ودائمـا بالاتصال معها ودائما عارفا بما يجرى فى الساحة الثقافية ببلادنـا منشطـا ومنتجا للاعلام الثقافى ، ملتقطا له مروجا اياه ، حريصا على تأصيـل عمالنـا وشبابنا المغتربين بأروبا وغيرها فى بيئتهم الثقافية الاصيلة على بعد المسافة واختلاف الظروف حـتى لا يكـون شبابنا المسيب لقمـة سائغـة تستهويـه الاديولوجيات المغرضة ويحتويه المشعوذون .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هذا بالاضافة الى قيام الملحق الثقافى بمهمة استكشاف التجارب والخبرات الثقافية الجيدة على الساحة الخارجية ليعرف بها أهل الثقافة فى بلاده عـند الاقتضاء ويشع ثقافتنا القومية بالخارج .

8 ـ حماية المنتجين الثقافيين بتشريع خاص بهم :

لقد قمنا فى اطار رؤيتنا الشاملة للثقافة باعداد مشاريع تستهـدف تغطية الحقل الثقافى بما فى ذلـك « الثقافة والاقتصـاد » و « الثقافة والتجهيـز » و « الثقافة والتكوين » و « الثقافة واللامركزية » و « الثقافة والاشعاع » . غير أنه ـ اذا لم نضف الى اقتراحاتنا ومشاريعنا المسألة الاجتماعية المتعلقة برجال الفن والثقافة فان المشروع الكلي يبقى معاقا . لذا فكرنا فى تسوية وضع المنتجين الثقافيين وحمايتهم بتشريع يرمى الى تمتيعهم بالضمانات الاجتماعية من علاج ومنحة عائلية وجراية تقاعد وما الى ذلك .

6 ـ خاتمـــة :

اذا راجعنا التاريخ وجدنا أولى مطالب الحركة الوطنية تندرج فى الدفـاع عن الذاتية الثقافية . لذا فان الرؤية الثقافية التى استعرضنا معالمها ليست غريبة عنا ولا مستوردة مما قد يروج الآن فى الندوات والوثائق الصادرة عن اليونسكو بل انها لمستوحاة من واقعنا ومن اختيارات المجاهد الاكبر منـذ بدء نضاله فى الصحافة وعبر مؤتمرات الحزب وفى العديد من المناسبات كما فى خطابه بمناسبة انعقاد الندوة القومية للجان الثقافية بمدينـة الكـاف فى 15 سبتمبر 1968 وكان فيه ـ كما عهدناه دائما ـ سابقا لزمانه بالرؤى المستقبلية التى وهبها الله للمجاهدين الملهمين فى قيادة شعوبهم اذ آمن منذ ذلك الحين وقبل ان تطرح القضية الآن على المستوى الدولى بضرورة ايجاد التمويـلات الهـامة والكافية للنهوض بالثقافة وادماجها فى الدورة الاقتصادية على أساس التنمية الشاملة ، وكان يغالب بعض المسؤولين فى مجلس الجمهورية لترجيح كفـة الثقافة ويناشد المسؤولين بضرورة تحقيق التنمية المتوازنة كما يبينه قوله :

« ان الشىء الذى لم يقع التعرض اليه ويقتضى التفكير فيه مليا هو البحث عن ضرورة توفير المال للمشاريع التى نعتزم انجازها . وهذا يتطلب بطبيعة الحال اعتمادات كبيرة . وفى الشؤون الثقافية توجد أمـور يصعب تحقيقهـا أحيانا نظرا لتزاحم المسائل ... ومن ثم فانى كثيرا مـا اعمـد فى اجتماعات مجلس الجمهورية الى ترجيح كفة الثقافة مؤكدا أن لها فائدتها وجدواها ... »

لئن حققنا من قبل العديد من المكاسب فى مجال تركيز الهياكـل كاللجـان الثقافية والمعاهد المختصة وفى مجال التجهيز الاساسى كايجاد شبكة من المكتبات العمومية تعد مائة واربعين مكتبة وأربعة مسارح فى الهواء الطلق ومائة وثمانية وعشرين دارا للشعب والثقافة فى مدة لا تتجاوز ثمانى عشرة سنة بدءا من أواخر عام 1962 رغم الامكانات المحدودة للدولة وانشغالها بمطالب اخرى أكيدة فى التشغيل والصحة والتعليم والسكن حيث تحققت المعجزات ، فقد تم ذلك بفضل من الله وارادة القائد الفذ صاحب الرؤى الصافية المثقف الاول فخامة الرئيس الحبيب بورقيبة الذى وجه الحكومة الى اشاعة ديمقراطية الثقافة بعد ديمقراطية التعليم حينما كان بعض المسؤولين ـ حسب اعتراف فخامتـه ـ يهمشون الثقافة فيتدخل سيادته ليرجح كفتها .

فلا غرو ان يأتي على لسان حكومة المجاهد الاكبر في بيانها امام مجلس الامة يوم 30 ماي 1980 (من خطاب الاستاذ محمد مزالي الوزير الاول والامين العام للحزب) ما يلي :

« اذا كانت الثقافة تهدف الى ضمان مناعة المجتمع بتعزيز قيمه الحضارية والاخلاقية والروحية وبتمكينه من شق طريق المستقبل ، فان الواجب يدعو الحكومة الى تكثيف جهودها من أجل اقحام العمل الثقافي في الدورة الاقتصادية اذ أن ربط الاسباب بالمسببات في هذا الميدان اعني العلاقة الجدلية القائمة بين هذين العاملين الحضاريين لم يعد في حاجة الى الاثبات . فالعمل الاقتصادي ـ رغم أولويته ـ لا يمكن له ان يضمن الرقي بمفرده » .

هكذا ينبغي ان نتجاوز النظرة الكمية الضيقة للتنمية ، تلك النظرة التي أدت في كثير من البلدان كتونس في العشرية الماضية وحتى البلدان المصنعة الى فرض اختيارات ترجح كفة الاقتصاد الصرف على الثقافة فتهشمها .

وفي هذا التوق المستقبلي لغد ثقافي افضل وأرقى في تونس الناهضة ، النابضة بحيوية شبابها لا يفوتنا الاستشهاد بقولة نبه بها المجاهد الاكبر الى واجب العناية بالشباب خصوصا ليسلم من التوترات والازمات فيكون في مستقبل الايام زارع خير وبركة لا زارع شر وزيف في أرض آبائه وأجداده ، أرض النضال في معركة التحرير ثم النضال في البناء الحضاري . قال فخامته مخاطبا ممثلي الاحزاب الاشتراكية الافريقية في المؤتمر التأسيسي لرابطة احزابهم يوم 26 فيفري 1981 مشيرا الى المتطلبات الجديدة الملحة التي تواجه شعوب القارة الافريقية والعالم الثالث بله العالم كله ، تلك المتطلبات التي لا سبيل الى ردها بما لها من مضاعفات ناجمة عن التصاعد الديموغرافي والنزوح المكثف وانتشار التعليم وتأثير وسائل الاعلام الا بالاستجابة لتساؤلات وحاجيات الشعب خصوصا الشباب منه الذي يرى فخامته وجوب ادماجه في **المجهود الاقتصادي** وفي **العمل السياسي** وفي **الحياة الثقافية** على اساس اعتبار تلك الميادين الثلاثة متكاملة متراشحة في عملية التنمية الشاملة المتوازنة المستوحاة من تجاربنا :

« ان بلداننا تشهد تصاعدا ديمغرافيا لم يسبق له نظير ، فالنزوح المكثف من الارياف وانتشار التعليم ولو جزئيا ووزن الشباب ومكانه في مجتمعاتنا وتأثير وسائل الاعلام الجماهيري ، كل ذلك قد جعل بلداننا تواجه متطلبات جديدة وملحة لا سبيل الى ردها . فعلينا اذن أن نعرف كيف نعد نماذج للتنمية تسمح بادماج هذه القوى المتوترة لدينا ضمن هياكل قادرة على الاستجابة لتساؤلاتها وحاجياتها .

ويتعين على هذه الهياكل ان تنظم بصورة أو بأخرى **مشاركة كل** المواطنين في المجهود الاقتصادي وفي **العمل السياسي** وفي **الحياة الثقافية** . وان طريقة المشاركة أو طرقها هي ما يجب علينا ان نستنبطه مستوحين في ذلك لا من النماذج الاجنبية فحسب بل ايضا وعلى الاخص من روح مؤسساتنا الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، وعلينا ان ننشىء فيما يخصنا نماذج على أساس تجربتنا الخاصة وبمحض تفكير اطاراتنا على أن تكون هذه النماذج ملائمة بصورة مباشرة لمجتمعاتنا التي تشهد تطورا سريعا لا مثيل له » .

من روح هذا التفكير حاولنا استيحاء مشروع استراتيجية ثقافية في القطاع الذي يهم وزارة الشؤون الثقافية .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قصائد متوحشة ..

شعر: كمال قشاوين

ـ 1 ـ

مثلما تكبرُ أحزاني
وترتاحُ على الشوكِ لتعظمْ !
في سماءِ العمرِ تبدو غيمةٌ سوداء
طلعها الدامي تورّمْ !
يتراءى الأفقُ دهليزاً
يزفُّ الوحشةَ النكراءَ رعباً يتجهمْ !
أنتَ يا دربي المعتمْ !
سائرٌ في التيهِ تبكي نائحاً ،
وأنا المدلجُ وحدي في ثنايَاك ..
أنا وحدي المحطمْ !
صامدٌ أفتحُ بابَ المستحيلْ
أتراني أمسكُ الريحَ وأمشي
والهوى في قبضتي ،
أمْ تراني أتوهمْ ؟
ربّما يلفظني الدربُ وأغدو
كضبابٍ خانقِ الانفاسِ أقتمْ ..
ربّما يزرعني الأفقُ نجوماً
في سماءِ المغرضين ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ربمَا يَنبَجِس النّورُ بِدَرْبِي ...
وَمَسَافَاتِي ... فتَزْهُو ،
أمّة بالفرَح الوَاعِدِ ، بِالخَيْرِ المُنْعِّمْ ! ..

* * *

ـ 2 ـ

أجِيءُ مِنْ أقْبِيَةِ العَذَابْ
مُحَمّلا بالعِشْقِ في حَقائِبِ الايّامْ ،
مُعْتَلِيًا صَارِيَةَ الإنْجَابِ ،
في مَوَاسِمِ الاعْيَادْ ،
أحْمِلُ في آنِيَتِي الطعَامَ للْجِيَاعْ
وَالحِبْرَ لليَرَاعْ ،
وَفي مَجَامِرِي الدّخَانَ وَاللّهيبَ للضّيَاعْ !
أرْدِيَتِي تَحْفِلُ بِالشّعْرِ .. تَضُوعُ بِالكِتَابَهْ ،،
وَالارْض مِنْ حَوْلي تَذُوبُ بَهْجَةْ
وَالزّرْعُ وَالخَمِيلُ والسحابَهْ !
لا تَحْسَبُونِي كاهِنًا يَطُوف في الخرَائِبِ المَهْجُورَه ،
يُودِعُهَا تَمَائِمَ الكُهّانْ ،
أوْ كاتِبًا مُرَدّدًا سَخَائِفَ الخَطابَهْ !

ـ 3 ـ

عهد القصيدة

إنّنِي أعْلِنُ الان عَهْدَ القَصِيدَة
مَنْ يَبِيعُ طعَامًا بِدِيوَان شِعْرٍ يَنَامْ
وَيَرْقُدُ فَوْقَ غُبَارِ الرّفُوفْ ؟ !
مَنْ يَمْنَحُ الحَرْفَ أشْرِعَةً للْعُبُورْ ،

لِيَرْحَلَ عِبْرَ تُخُوم القَصِيدَة ،
يَا زَمَنًا تُسْتَبَاحُ القصَائِدُ فِيه ...
وَتُشْحَذُ فِيه السّكاكينُ ،
تُجْدَعُ فِيه أنُوف الصحَائِفِ وَالشُعَرَاءْ ! ..
هِيِ الارْض نَاءَتْ ،
وَالمَوَانِي جَمِيعًا بَعِيدَهْ ... بَعِيدَهْ !
تَعَالُوا رِفَاقِي امْنَحُونِي جَرِيدَهْ !
أحَبِّرُ فِيهَا مَوَاسِمَ شِعْرٍ جَدِيدَهْ !
تَعَالُوا لكِي تَنْحُونِي
جَوَازَ المَتَارِيس ، خَلْفَ المَتَارِيس ،
نَشْمَخُ عِزّةُ شَعْبٍ عَنِيدَهْ !
وتَسْكُنُ بَيْنَ النّتوَآت ...
بَعْدَ عَنَاءِ الصّعُودِ تَرَدّتْ إلى أسفَلِ الصّخْرِ تَرْنُو وَحِيدَه

* * *

— 4 —

الرحيل فى غياهب الكتابه

أسَافِرُ فِي فَلَوَاتِ الكِتَابَهْ وَأرْحَلُ فِي غَابَةِ إثْرَ غَابَهْ
وَأعرِفُ أنّي غَرِيبٌ بِوَجْدِي بِصَمْتِي أسِيرُ العَنَا وَالرّتَابَهْ
أكادُ أمُوتُ لِفَرْطِ أسَاي إذَا مَاذَكِرْتُ الهَوَى والصّبَابَهْ ؟
فَأتْرِعُ فِي اللّيلِ صَمْتِي وَوَجْدِي وَأغْرَقُ فِي الهَمّ حَتّى الكَآبَهْ
وَيَمْتَصّنِي الخَوْفُ شَيْئا فَشَيْئا أكادُ أصِيرُ بِحَجْم الذّبَابَهْ
أحَاوِلُ أشْهِرُ حِقْدِي وَرُعْبِي على مَنْ يُسَدّدُ نحوِي حِرَابَهْ
أحَاوِلُ أشْدُو وَأرْفَعُ صَوْتِي ألا يَا دُنَى العَاشِقُ المُسْتَجَابَه
غَدًا سَوْفَ قَلْبِي يَرِفّ انشِرَاحا وسَوْفَ (يُعَانِقُ فِيك شَبَابَهْ !)

http://Archivebeta.Sakhrit.com

بين الباب والخلق

قصة : شريفه عرباوي

رياح طفيفة تدفع برفق قوارب الغيوم المبحرة بعد التلبد نحـو التلاشى ، قوارب كنت فى الصغر أقف مشنوقة البصر اليها أبتلع وقتا لا يستهـان به كى أرقبها الى أين تذهب ، وأتأمل ابحارها فى المدى الرحب أمنيتى أن أرحل معها ، تحملنى الى آخر الدنيا خلف الهضاب . وفى الكبر الآن أحن الى سذاجتى والصغر وأمنيتى أن تبحر بى الى الوراء ، تشق متجمد السنين الميتـة خلفى لأعود الى منطلقى الساذج ٠ وبين صغرى والكبر مساحة من الأيـام عريضـة أبحرت لحظاتها كقوارب تلك الغيوم ، وحولت سذاجتى الى جـد أفقدنى طعـم السعادة ، الى فكر مأساته التفكير والتأمل ، البحث والتحسس والمقارنة بين كل ما يتضارب من الاضداد فى مجتمعه الانسانى الحالى ، فى عالمه المتربع على فم بركان من التعفن ، مأساته المقارنة بين الفقر والغنى ، والظلم والعدالـة ، والباطل والحق ، والصدق والكذب ، وبين الفضيلة والرذيلة . وهمه البحث عن ميزان يثقل فيه الاقوم والانفع للانسان من كل هذه الاضداد. لكنه مهشم الارادة تحت صفعات الواقع مثخن بجراح العجز يستوطنه القنوط ، يقف فى مسارب بحثه المحدودة أمام الكارثة الكبرى هى أنعدام الاقوم والانفع فى هذا المجتمع ، بل انعدام الميزان أصلا فكرة وتطبيقا . هذا الفكر يطمـح الى جمـع المجتمع الاسانى فى كف واحدة ينعدم التمييز فيها ، والفقر والجهل والتخلف تنعدم الانانية . فيه الانسان يعيش متساوى الحقوق فى العيش ، فى الكرامة فى الحرية ٠٠٠

كف مطهرة من كل سبب يدمر حياة الانسان معنويا وماديا ، سبب دنيوى أو دينى ، يشنق الفكر فى مشنقة الاغراض المهترئة المبادىء ، النخرة القيم ، ويخنق صوت الرأى ثم يستعبد الانفس والاجساد . فى هذه الكـف يكسب الانسان فعلا حقوقه الحياتية الانسانية ، وفعلا يحيا مترفه العيش سعيدا ٠

الثلج أرسى فى رحلته الى قريتى على قمم الهضاب كالعهن المنفوش ، واتكأ ليستريح فوق أغصان الصنوبر ، وامتد لينام أياما على الطرقات ضيفا ، يزرع السكون الجميل عند الغروب حيث يلتقط حس التوازن ـ تلك المؤثرات، يوزعها على الخلايا ، تدفعها بدورها الى انسجة المخ ، يقيمها ثم يدفعها شحنة من الانفعالات كرد فعل ٠

يضيق بتلك الشحنة صدرى حد الانفجار ، أحس بنفس يخنقنى ، مجموعة من الافكار خلف قفص الجمجمة تبحث عن منطلق ، مجموعة من الصور تزدحم فى أفق خيالى ، مجموعة من المعانى والالفاظ تريد الاستقرار في شكل ما ، تريد أن تلتحم فى موضوع ما ، حتى تصبح بناء فكريا .

الضيوف فى الداخل ، والمطبخ ينتظرنى لاعداد العشاء ، حركة آلية من البداية الى النهاية ، ثم الأوانى يجب أن تغسل وتستقر فى أمكنتها والبيت ينسق من جديد ، والشاى للمسامرة و ٠٠٠ وتأتى ساعة النوم لتكديس الاغطية على كل سرير ، وفى النهاية ارهاق يجرنى الى النوم ، وتلك الشحنة فى الصدر تكبت . وفى الغد تتلاشى ، تتشتت مع ذرات الجهد والحركة الى أن تضمحل ٠

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الفترة .. أيام أخرى من الزمن فيها يتهافت المطر رذاذا يتخلله الانقطاع ، الناس فى حركة ساكنة ، والصمت ، الصمت يتكلم على قمم الهضاب ، يحكى قصة الوافدين على القرية من المجهول ، والغادين منها اليه ، يحكى قصة الازل، قصة الاجيال المتكسرة حول تلك الهضاب ، والعصور المندثرة فى دوامة التعاقب ٠

فكرى فى الطبيعة المغيمة يعيد الرحيل الى كهوف الغموض ليدقق البحث في حقائق الاشياء حوله ، حقيقة الكون والانسان ، الكون والبدء والفناء ، الانسان والبعث ، الانسان والعدم والزمن ، والعجز أمام القوة التى صنعته وأختارت له الزمان والمكان والمصير . فكرى يعيد التحرك فى السكون لبعث الفكرة وصنع الكلمة بعيدا عن الضوضاء . يمزق وميضه الضباب ليتحسس الاشياء خلفه ، ضباب الطبيعة وضباب حيرته .

والطقس مغيم . أحن الى الموسيقى ، عالم غير ملموس كتلك الغيوم ، أحن

الى اللحن الشعبى ، أعبد الارتحال على أجنحته باحساسى عبر امتداد الخيال الى الوراء ، فى أبعاد ذلك اللحن المحمول على محفة الاجيال ينبش احساسى غبار السنين حتى يصل منبعه المتفجر من قصص حملها الانسان فى القديم ، قصص مشحونة بالمآسى والحرمان أحيانا ، وبالسعادة حينا . ولكنها تصبح مأساة فى احساسى عندما يندثر حاملوها نحو الفناء ، ويبقى اللحن يجاهد الزمن كى يمدها بطول العمر وما للزمن غالب ، والطقس مغيم • أجعل من البيت رائع التنسيق والترتيب ، طيب الرائحة ، نظيفا ، يغمره الدفء حتى لا يبقى حولى نشاز ينزلنى عندما يركب الفكر مركبة الابداع ، ويشرع فى الخلق •

الباب يدق ، دقاته توقظنى من غيبوبة التفكير ، تخرجنى من عالم الابداع ، تزعق فى راسى ، تشتت الافكار فيه ، تمزق الصور فى أفق خيالى ، تقلقنى ، تغضبنى ••• أرمى بالقلم وأنهض ، مفتاح الجيران عندى يسترجعونه ، أجمع الافكار من جديد ، لأتمم عملية الخلق • الباب من جديد يضرب ، تلاميذ المدرسة قد خرجوا يتصايحون كالخرفان ، يضرب بعضهم بعضا ، وبعضهم يسقط على الباب افزع ، أتشتت أنزعج ، ثم أنتظر حتى تهدأ تلك الزوبعة ، ويهدأ اضطرابى . ومن جديد أجمع أفكارى لأتمم العملية، في هذه المرة الباب يطرق طرقا شديدا ، يزعجنى أتوتر ، أهرع اليه ، أفتح مسرعة فى الحركة ، شحاذ ، أغضب ، أغتاظ لكننى أمام شيخ هرم • غضبت عنه قبلى القدر حين البسه الحياة وهو شبه المعدوم فيها ، وقذر الاطراف ، قذر الملابس ممزقها كأنه خرج بعضا من معركة جمعت بينه وبين الكلاب . سألته ، فاستنتجت أنه أخرس وأصم ، معاق شحاذ قذر فقير جائع ممزق الثياب ، ينتعل التراب صيفا وشتاء أهذه حياة ؟ تحملها نفس بشرية ، يحملها احساس انسانى ، مظلمة أراد القدر أن يتسلى بها فأنزلها برمتها على رأس ذلك الشيخ ، نطلب العدل والمساواة بين الناس من أهل الارض فكيف ؟ ورب السماء أحيانا غير عادل • أستغفر اليه ان خرج بى احساسى بالالم ، وشعورى بالعجز أمام هذه المأساة عن حدود ايمانى .

أعود الى مكانى وقد اثقلتنى شحنة أخرى من الالم المزمجر فى زوايا النفس الى حد الكفر ، شحنة تعزز الفكر فى عملية الخلق وتمده بالمعانى والصور ، وتزرع فى فضائه الافكار والالفاظ ، وأخرج من عالمى من حياتى ، لاكتب لكن الباب من جديد يطرق ومع الطرق حديث وضحك ، بعض قريباتى جئن لزيارتى أفرح فأنسى ألمى وأبتسم ، أسأل وأسلم ، أرحب وأنا منشطره بين فراق

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الكلمة ولقاء الأهل ، لكن قريتي والاهل حتى وان أخرجاني من الجنة فأنا بهما دائما سعيدة أجمع أوراقي وأرمي بها في المكتبة لأقدم ما يجب على أن أقدم ،أتفرغ للحديث معهن ٠

مشاكل أعيشها ، مشاكل يعيشها من حولي في بيئتي ، مشاكل اجتماعية حياتية انسانية تدخل احساسي تجبرني على الالتزام بها ، تدفعني الى معالجتها بالفكر بالقلم والكلمة ، أنبه ذلك الفكر والاعصاب بالمنبهات وأستعد لتحليلها ، آكل أكلا خفيفا ، أرتب كل شيء حولي كعادتي ٠ وأبدأ في صنع بعض الكلمات ، لكن سيارة فخمة الطراز تقف أمام باب المنزل ، ضيوف من بلد بعيد ، من قطر مجاور واجبي أن أضع كل جهدي في حالة استعداد لخدمتهم ، والسهر على راحتهم ، حتى نهاية الزيارة ٠ أعود الى تلك المشاكل وقلمي والكلمة ، لكنني مرهقة لا استطيع ، وان اجتهدت في التفكير أشم رائحة أعصابي تحترق ، أحس بصداع يمزق شرايين راسي ، وتتصاعد ضربات قلبي فتهدمني نحو الانهيار ، ويسقط اصراري أخيرا في هوة الفشل ، وأستسلم ، لكن عندما أسترجع شيئا من عافيتي أعود الى قلمي والكلمة أسرق الوقت من بيئتي وأكتب ، أسرقه من نومي وأكتب ، من لحظات الترفيه في حياتي وأكتب ، من رائحة أعصابي المحترقة وأكتب ، من غليان دمائي وأكتب ، وذلك الدم أجعله مدادي وأكتب ، وأستعين بازدراد القهوة والأقراص وأكتب ، ولا أبالي بأنهاك مادة الجسد ، في سبيل الفكر ، في سبيل الكلمة والخلق ٠

شريفة عرباوي

● أبو العلاء حائرا وثائرا :

هذا عنوان الكتاب الذى صدر أخيرا عن مطبعة الهلال يحتوى على 118 صفحة من القطع المتوسط من تأليف الاديب : محمد مراصي ويضم الكتاب بعد الاهداء والمقدمة والافتتاحية أهم الاحداث المؤثرة في حياة أبي العلاء والمأساة في ديوان اللزوميات . ثم عناوين فرعية عديدة تليها : الابعاد الاجتماعية والفكرية في رسالة الغفران . فالخاتمة .

نشكر المؤلف على النسخة التي وصلتنا هدية منه ونرجو له التوفيق .



مطالعات

قراءة في ديوان شعر مغربي

الشوق للابحار في هموم الانسان المغربي

بقلم : عبد الكريم التميمي

ARCHIVE

« الشوق للابحار » : حروف مثيرة جدا .. انها عنوان المجموعة الشعرية الثانية (1) للشاعر المغربي عنيبة الحمري ، ومن رحم العنوان ينبثق سؤال : ما هو الرداء الذي يرتديه الابحار عند الشاعر ؟.. ان الحمري لا يعني هنا اللجوء الى البحر تهربا من دائرة الرفض والمعاناة ، وانما يعني الابحار في يوم التمرد والبحث عن بديل لهذا « العالم الاجرب الذي يطارد أبناءه ويغرقهم في ظلامه ، في تعبه اليومي من أجل الخبز » (2) .

وببساطة متناهية ينقلنا الشاعر الشاب الى ساحته الشعرية حيث تتشابك الاضداد وترقص المتناقضات ، انها ساحة تعكس الآلام والآمال والمهادنة والتمرد واليأس والحلم ، وتعكس بصورة أكبر هموم الانسان المغربي . وبسرعة فائقة

---

(1) مطبعة الأندلس ــ الدار البيضاء .
وديوانه الاول صدر سنة 1968 تحت عنوان (الحب مهزلة القرون) للشاعر أربعة دواوين آخرها صدر منذ شهور (مرثية المصلوبين) .

(2) عبد الجبار السحيمي .

نتجاوب مع الشاعر وذلك لكونه «يتميز بالقدرة على التعبير الدقيق، وتصوير الموضوع تصويرا واضحا مختصرا بسيطا ، يلتقط منه الصورة واضحة ، فليس فى كتابته غموض من ينظر الى داخله بعمق ، ولكنه تعبير واضح مختصر .. » (3) .

وفى بداية الديوان نجده يجسم مأساة الجيل الذى يعيش بلا هدف .. وكفى حياة ما بشاعة ان تكون بلا هدف ! :

فيا أسفى
اذا الأزهار قالت لى :
« بلا هدف »
تمد العطر والأشواق لا تدرى
تجوب الليل فى السر
بلا فجر

ونلاحظ أن الشاعر يصف الازهار بطريقة نادرة ، انها فى هذه الأشعار مرتبطة بـ « أزهار الشر » ، ذلك أنه ينزع عنها غلالتها السحرية وايحاءها للربيع والامل ، وتتخذ عنده أبعادا جديدة تنصهر داخلها معانى التشاؤم واليأس ..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ويرتفع الشاعر بالتزامه الى المستوى الانسانى حين يسوق مآسى الانسان الأسود :

الأبيض « الانسان » ينعم بالمروج
والأسود « المنبوذ » يعلف
ما يساق من السروج
عند المساء
عند الخروج

---

(3) مالكة العاصمى

وينزل الشاعر الى الاكواخ القصديرية حيث يتعلق الشقاء وتسيطر الأمراض :

أكواخنـــا مستنقعـــات

حــزم من القصديــر

يغشاهـا السقـــوط

ويوضح الأسباب التى تدفع بالانسان الى مغادرة وطنه ، والهروب الى بلاد أخرى لا تربطه بها لغة أو دين أو قومية :

رتابة الأيام تؤلمـه فيطلب منجمـا

يهـوى بلاد الآخرين بأرضها لن يسأمـا

لنتمعن كيف استطاع الشاعر بدقة فائقة أن ينقل الينا صورة عن البطالة دون أن يستعمل كلمات تدل عليها بوضوح ، انه قال : رتابة الأيام تؤلمـه .. ومتى يشعر الفرد برتابة الأيام لدرجة الألم ؟ .. انه يشعر بها حينما تستوعبه الجـدة .

الأيام تمر ، والشباب يفنى والعامل فى بلاد الغربة لا يشعـر بشىء ، ان المرارة التى ذاقها فى بلده جعلته يفكر فى المال وحده . لقد تحـول الى انسان آخر فقدت المناظر عنده كل التعابير والايحاءات ، حتى السماء فى بلاد الاغتراب تبدو كأنها منعدمة فلقـد :

ألف الظلام فلا غرابة أن يعيش بلا سمـا

القناديل : وسيلة للاضاءة وتبديد الظلام والضباب ، ولكن القناديل عـند الشاعر يكسوها هى بدورها الضباب :

الله يا مدينتـى

أو هكذا أبوابك الغبــراء

تفتــح فى المســاء

أعتابـك الملأى ، قناديـل

الضبـاب

ويحلم الشاعر بانبلاج الصبح .. ويبنى حلمه على الصبر والمعاناة البصرية والخوض فى غمار الليل :

الصخرة الصماء لا تخشى المطارق
والحديـد
كن سائحا عبر الدروب بلا جواز
لترى عذابات الحريـق
أو سائقا بالليل لا يخشى الطريق
حتى يرى الفجر الوليـد .

ويطلب الشاعر التضحية ، ويستمد حروفه مـن حكمـة مشهورة فى هـذا المجـال :

وبلا مشقات محـال
أن تعتـلى قمم الجبـال

شىء طبيعى أن يكون المرء غريبا خارج وطنه .. ولكن أن يكون غريبا داخل وطنه ، فهذا شىءمفجع .. نعم ، ما أقسى الغربة ! حين تعصف بك وأنت تدب فوق الارض التى عرفها أبواك وأجدادك والتى أمدتك بتقاليد معينة ومشـاعر نبيلة .. كل الأجزاء المرتبطة بك تندثر لتصبح غريبا فى بيتك :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مـل المـدار
هذا الغريب فما لـه فى البر دار
عصفـت به فى التيه أجناس
فســـار
أنى يسيـر
فالجـو بـاك والغروب
قد أشعـل الأنحـاء نـــار

ويسأم الشاعر ، ويلتجىء ـ بلاوعى ـ الى دائرة الإستسلام :

فمعـذرة سأفنى بالحشيش
المنتـقى عمـرى
وأنسى بالكؤوس هزيمـة
الأيـــام

ولكنه سرعان ما يرجع الى وتيرته السامية التى رقص عليها منذ البداية ، وتلازمه فتـرة الحلم والأمل فيقول :

اذا الليـل استطـال فحزننــا
مصبــاح
ينيـر ظلامنــا أو ربمـا
تـذرو الريـاح غبـارهــا
نرتـــاح

وحين يتحقق الحلم ، سيستطيع الشاعر أن يتمشى فى أزقة البلد مرتاحا :

وأغـدو مستريـح القلب والجسـد
أطـوف الـدرب فى بلـــدى
ومــا بمدينتى شبـح
جفـاه الأفعـوان طريـح

ويرتمى الحمرى فى أحضان القضية العربيـة المجيدة ، بكل ما تحملـه فى باطنها من خلافات وأحزان ، فيقول بيأس ممزوج بالأسى :

القـدس ضـاع
القـدس ضـاع

ضـاع القدس ، والشعب يتجـرع بمرارة هـذا الحادث ، و « السـادة » يرقصون فى دوائر المبارزة :

الكون راوده النعـاس
بقصيـدة لأبى نـواس
قالت : ذر الألبـان يشربها أنـاس
وغيرنـا
بحكايـة الأشعـار من بشــار
يلهـو : شركـت الكلـب
فى ولـغ الاطـــار

القرن العشرون : قرن الأقمار الاصطناعية ، وغزو الفضاء ، والنزول على سطح القمر .. وعندنا هو قرن (الجاهلية) .. أجل ، ما زال السـادة يرددون

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الالفاظ الطنانة ، ويعيشون طبعة ثانية من (داحس) و (الغبراء) و (البسوس)

ويردد الصوت القديم

نفس البــلادة :

تغلــب ، بكــر ، تميــم

الحروف القبلية يشعلها (الرواد) .. ألا قاتل الله التخلف .. وشيء مؤسف حقا أن يؤدى الشعب دائما ضريبة الأغلاط والحماقات .. يبنى ويحلم وينتظر، ويأتى من يأتى ليهدم أعمال أجيال فى لحظة شذوذ أو جنون :

ستضيع كل بيوتنا ، والأهداف

غبــراء عافتهــا الضفــاف

ستضيع كل بيوتنــا ، والأهــداف

عذراء فارقهــا العفــاف

المثقفون ، هؤلاء (الطبقة) الواعية يتألمون ويتحسرون فيكتبون حين تغفو الرقابة الطائشة ، والكتابة عندهم هى قدرهم ونبراسهم ، ولكنها عند الشاعر ليست كل شىء ، انه يطلب من المثقف أن يدمر ويدمر حتى يسقط فى ساحة الانتحــار :

لك أن تقــول

لى أن أقــول

والحبر حبر ما يزال على الورق

فلنحتـــرق !

فلنحتــرق !

قتل « الحلاج » وبقى فى ضمائرنا رمزا للشجاعة الفكرية..وأعدم «لوركا» وبقيت أشعاره حية نابضة تفضح الطغيان واللؤم .. فالانسان ينتهى بالموت ، ولكن كتاباته تبقى حية :

هى الأفكار مثل الأرض

يموت الشخص لا تفنى

ويتخذ الحمرى من (عمورية) رمزا لحدث كبير مر أمامه :

على بهو الأسود ترددت طلقــات

تطايرت الشظايا فى المدى النشوان
وذابت فى الصدى حفلات
الى الغابـات !
الى الغابـات !

وتنقض على الشاعر لحظة يأس ، فيرى أن الحناجر غنت كثيرا بلا جدوى ، فيصيـح :

جفت حناجرنا فأين المقبـره ؟
شدوا الرحيل الى الضريح !
أيـن الضريـح ؟!
أيـن الضريـح ؟!

ويتناول الشاعر أسطورة « بروكوتس » (4) ، ورمز الخلاص عنـده ليس « غودو » ولكنه « تيـزى » (5) ، فيناديه :

أيا تيـزى ، فأينك أين ؟
تخلصنا من العنفيـن
فلا ننسى عصارة ما بنـت
أيدى الحفـاة سنين
فللمـوت البطىء على السرير
أنيـــن !

الرصيد ، كلمة غالبا ما تقرن بالمصرف ، وعند الشاعر تتحول الى شىء آخر، فحين نسأل الكادحين الصبيين عن رصيدهم ، يجيبونا :

وكل رصيدنا فقـراء

---

(4) نقـلا عن هوامش للشاعـر :
« بروكوتس » قاطع طريق كان يسلب الرجل ماله ثم يضعه عـلى سرير فان كان المسلوب طويلا قطع من أعضائه ، وان كان قصيرا مدد منها ، فتنتهى حياته فى الحالتين (أسطورة) .

(5) « تيـزى » : تضيف الأسطورة أن « تيزى » هو الشخص الذى استطاع أن يوقف بروتوكس عن حده ويطبق عليه طريقته !

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ويدمج الشاعر اليأس بالأمل بطريقة جذابة فى قوله :

ويورق حزنهم صبـار
ليثمر فى روابى الوهـم
يظلـل زورق الابحـار

ونبحـر مـع الشـاعر :

وأبحرنـا !
بعـون الله يا بحـار :
يطـول الليل لا يرأف

ووسط الامواج الهائلة يتكسر المجداف ، ومع ذلك فأمل الشاعر أكبر من أن يؤثر فيه هذا الحدث :

هناك تكسـر المجـذاف
فيا بحـار لا تأسف
دع الأخشـاب للمتحف
وكن بحـارنا الأشرف !

المدينة قابعة على شط البحر .. وأنياب الذئاب تستهدف دائما الأماكن « الستراتيجية » ، والسكان يؤدون ضريبة هذا الموقع ، فخيرات المدينة لا تعود اليهم ، حيث تظل دائما فى بطون الاستعماريين والانتهازيين :

بوابة بالحر تهدى السائرين
مدت أكفا للمحيـط
منحت شواطئها الرحيق
للوافديـن

ويثور الشاعر على امتثالية السكان المميتة ،، هـؤلاء السكان الذيـن يبلغ أقصى جهادهم رفع لافتة جوفاء أو ترنم بألفاظ خاوية .. هذه الألفاظ الـتى يقول عنها الشاعر بحسرة :

لو أن كل عبارة هزت جـدار
أو حطمت جسرا وأتلفت الديـار
أو زلزلت « نعشـا » ومزقت الطريق

لو أنها حجبت عيون الشر عن
نفث السموم
كنا استرحنا من قديم
الأزمنة

الوطن : بلد جميل ، طبيعته فاتنة ، وأهله طيبون ، وثرواته مدهشة ..
ولكن الشاعر لا يهمه من هذا شيء اذا لم يتمتع الشعب الكادح بخيرات وطنه :

والطقس هذا طقسنا ما أجمله
والجو هذا جونا لا كفء له
كرم الضيافة مرحبا لا حد له
من غيرما ، جفن ننام
مثقوبة أيامنا لا تنكروا
سوء الختام

وينتهي مطاف الشاعر في القصائد برسم رائع لأوجاع اللاجئين الفلسطينيين الذين حكم (بضم الحاء) عليهم بحياة الخيام الشاقة :

الليل يحبو لاجئا في خيمتي يتمدد
والريح تعوى في الدجى زفراتها تتردد
مطر وبرد ، خيمتي الدكناء كم تتنهد
والعام بعد العام في أحشائها يتجمد
وأنا هنا في حوزتي هذا الدقيق الأسود
منفاى هذى الخيمة الغضبى بحقدى تشهد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وفي الأبيات الباقية من هذه القصيدة الجميلة تتجسد روعة الشاعر المغربي الذي يعتبر هموم الفلسطينيين هموما له ، ويتغنى بها كضرورة إلزامية تفرضها عليه القومية واللغة والدين ، وفوق هذا كله يفرضها هو نفسه على نفسه .

وأخيرا ، ان هذه المجموعة الشعرية القيمة تعتبر اضافة جيدة أمد بها الأستاذ الحمرى المكتبة الشعرية العربية ، وتكذب آراء التافهين الطاعنين في شعر المبدعين المغاربة .

عبد الكريم التمسماني (المغرب)

أصداء الفكر

● تأثير الايديلوجيات الاولمبية فى التكوين وبرامج التعليم :

تحت هذا العنوان نشرت جريدة « الصباح » فى عددها الصادر يوم الجمعة 10 / 7 / 1981 مقالا بقلم الاستاذ محمد مزالى مدير مجلة « الفكر » جاء فيه بالخصوص :

« ... يتعين إذن ألا نتجاهل ما ينجر عن الازمة الاخلاقية التى تجتازها البشرية من اثر سلبى فى نفوس الشباب ، فى المدرسة وفى ميدان الرياضة. ان ازمة المدرسة هى التى ينبغى أن تستأثر أكثر من سواها باهتمامنا ،

فالمدرسة متواجدة فى كل مكان وفيها على الدوام تتكيف الافكار وتتشكل السجايا ، ان المدرسة فى ايامنا هذه هى المؤسسة الجماهيرية الحقيقية ، هى مشتلة الشعوب بحق ، إذ يؤمها فى مختلف انحاء العالم واحد على خمسة ، وان الطفل مراهق اليوم ، هو رجل الغد .

ARCHIVE http://archivebeta.sakhrit.com

واذا تعلق غرضنا بادخال تغيير ما على الواقع المحزن الذى ذكرناه آنفا ، واذا ما استقر عزمنا على درء وطأة الاشياء المفجعة واذا أردنا أن تكون لرسالتنا ـ رسالة السلام والوئام والاخوة ـ آذان صاغية فانه ينبغى لنا ان نولى تكوين الشباب وبرامج التعليم بالغ الاهمية قصد ادماج القيم الاولمبية فى برامج المدرسة وذلك للاسهام ، ليس فقط فى تنشئة رجال متوازنين سليمى الجسم والعقل بل وفى تحقيق الصداقة بين الشعوب ... » .

هذا ما جاء فى مقال الاستاذ محمد مزالى بعد أن حلّل مفهوم **الايديلوجية الاولمبية** وكيف ساهم نابليون ومـاركس فى انحـدار معنى هـذه الكلمـة ومحتواها ثم أبدى رأيه فيها قائلا : « فهى تعنى بالنسبة الينا مجموع الافكار التى تنبنى عليها كل الحركة الاولمبية التى ليست مجرد حدث ظرفى وذلك باعتبارها حركة وتجمعا دوريا يتنافس فيه الشبـاب وهى من صنف تلك

الحركات التاريخية الكبرى التى لها قاعدتها الذاتية وأسسها وامتدادها ، وقد طبعت تاريخ الحضارات البشرية بطابعها الخاص ، ان الايديلوجيا فى هذا المجال فلسفة واخلاقية أساسها مجموعة من القيم .

ثم يتعرض الاستاذ مزالى فى مقاله الى اسهام الروح الاولمبية فى العمل التربوى والى نظرة الكثير الى هذه الحركة والى وجوب العناية الخاصة بالعالم الثالث حيث يرى أن تأخر انتشار المبادئ الاولمبية فيه راجع الى اسباب تاريخية مشفوعة بصورة مأسوية بالتأخر المدرسى وهذا ما حدا ببعضهم الى التوهم بأن الحركة الاولمبية صالحة للبلدان الثرية أو للطبقات البرجوازية فى البلدان النامية .

ثم دعا الى « وجوب القيام بعمل معمق حتى لا يفقه الطفل الافريقى أو الآسيوى ميزة الحياة السليمة فى الهواء الطلق التى لم يزل منها قريبا وحتى لا تفضى ظروف الحياة الرهيبة فى المدن القصديرية بالمجتمعات السكنية الكبرى فى ضواحى بومباى وريو والدار البيضاء الى حرمان الطفل من منافع التربية الرياضية ... ».

ويختم الاستاذ محمد مزالى مقاله معلنا :

« ... ان مستقبل الحركة الاولمبية يكمن عند الشباب وفى العالم الثالث وان عمل اللجنة الاولمبية الدولية ينبغى أن يكون متعدد الاشكال كما ينبغى أن تحافظ اللجنة بكل قواها على الصلة مع كافة المسؤولين عن التعليم فى كل المستويات وفى كل البلدان بهذه الشروط فقط يمكن مباشرة المستقبل بصورة جدية لا خوف عليها من الانتكاس .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

● **قراءة فى العدد الخاص من مجلة « الفكر » التونسية :**

تحت هذا العنوان نشرت جريدة « الشرق الاوسط » فى عددها الصادر يوم 29 / 8 / 1981 فى ركن « أدب » بالصفحة : 12 عرضا شاملا للعدد الذى أصدرته مجلة « الفكر » فى جوان 1981 ونشرت فيه الدراسات التى قدمت فى الندوة التى احتضنتها مدينة الحمامات بتونس تحت عنوان : « ندوة عن الشعر العربى المعاصر » والتى نظمتها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .

● **مجلة « إبلا » IBLA ومجلة « الفكر » :**

نشرت مجلة « معهد الآداب الجميلة العربية » IBLA فى عددها 147 لجان مقالا تحت عنوان « مجلة الفكر تبلغ 25 سنة » ذكر فيه jean fantaine فونتان المناسبات العديدة منذ أول عدد لسنة 1956 لمجلة « الفكر » التى اهتمت فيه

مجلة اندرى ديمرسمان Endré Démersman بمحتويات مجلة محمد مزالى وباتجاهاتها الادبية والاجتماعية والفكرية وبفضلها العظيم على مظاهر التجديد الثقافى فى تونس وإثبات الشخصية التونسية فى وقت كانت فيه تونس فى أشد الحاجة الى إثبات ذاتيتها وتدعيم ثقافتها الاصلية .

ولقد سايرت مجلة « إبـلا » مسيرة مجلة « الفكـر » على لسـان محرريها الاساسيين وخاصة منهم الأب أنـدرى ديمرسمـان والأب ميشـال لالـوڤ Michel Lelong فى كافة تياراتها الحديثة اهتماما بجميع أطوارهـا ومختلـف نزعات محرريها ولفت الاهتمام خاصة الى عدة ملفات من أعدادها الممتازة مع الاشارة الى أن مجلة « الفكر » منذ أوائل سنة 1956 أكدت أن الثقافة الاصيلة يجب أن ترمى الى تحقيق مستقبل أفضل للطبقـات الكـادحة وأن مستقبـل الثقافة فى تونس عائد الى مشكلة التعليم الواجب ملاءمته بالنظام الاقتصادى وأن مقاومة التخلف الاقتصـادى والاجتمـاعى موقـوف على مشـاركة جميـع المواطنين فى تنمية البلاد خاصة بفضل انتشار التعليم .

كما ذكر جان فونتان بأن الفضل يعود « للفكر » فى طـرح أهم المسائـل الفكرية وفى التعريف بمختلف التيارات الشعرية والقصصية والمسرحية .

ومن مساهمات « إبـلا » فى الاهتمام بمجلة « الفكـر » التحليل الضافى العميق للأب ديمرسمان لكتاب محمد مزالى « من وحى الفكر » .

وبعد أن يذكر جان فونتان أهمية الفهرست العام لخمس وعشـرين سنـة والعددين الخاصين لاكتوبر ونوفمبر 1980 بمنـاسبة أعيد الفضـى لمجلـة « الفكر » دون نسيان النشرية التى صدرت بتلك المناسبة يلفت النظـر الى الدور الهام الذى قام به كل تلك المدة رئيس تحرير المجلة الاستاذ البشير بن سلامة والى تشجيع « الفكر » للتيارات المجددة ويتساءل : ألا تبـرر الطاقات الحالية للكتاب التونسيين صدور مجلة أخرى الى جانب أختها الكبرى المفعمة حيـوية .

● **عدد خاص من جريدة « العلم المغربية » بالادب التونسى :**

أصدرت جريدة « العلم الثقافى المغربية » يوم 15 / 8 / 1981 ملحقا ثقافيا خاصا بالادب التونسى شارك فيه كل من : ناجيـة ثامـر بقصـة : « مجلـد صور » ، ومصطفى الفارسى يكتب عن تجربته مع الكتـابة ، وعبـد المجيـد الشرفى أو البحث عن الذات ، ومحسـن بن حميـده بقصيدة : « السيـرة الكبرى » ، ومحى الدين خريف بقصيدة : « كتاب الماء » وابو وجدان الصادق

شرف بقصيدة : «المهبولـة واللبـن المالح» ، ونـور الدين عزيـزة بقصيدة : « الاعدام » ، وأحمد اللغماني بقصيدة : « أما حمزة فلا بواكي له » ، ورياض المرزوقي بقصيدة : « جنون » ، ويوسف رزوقه بقصيدة : « زغاريد في قبضة الريح » ، ومصطفى نقبو بدراسة : « مناهج السنما التونسية » ، وعبد الحق الزروالي بدراسة : « السيرك معاناه خلـق الهـزل والاصبـاغ » ، والاستاذ البشير بن سلامة بقصة : « ولادة » ، وعمر بن سالم بقصة : ليلة الدخـول في المفـاوضات » ، ونور الدين صمود بدراسة : « الشعر التونسي من 1956 الى 1980 » ، وأحمد حاذق العرف بدراسة : « الثقـافة التـونسية ومسالك النشر والتوزيع » . كما نشر « ملحق العلـم الثقـافي » كلمة عن « الشعر المنجمي » الذي أصدرته مجلة « **الأخلاء** » في عددها العاشر وقد جاء في ركن « **هذا الملحق** » قول الجريدة :

« **نقدم هذا الملحق الخاص بالادب التونسي كتجميع لنتاجات بعض الادباء التونسيين تعبيرا عن رغبتنا الصادقة في تدعيم التواصل المستمر بين بلدينا وأدبائنا في المغرب وتونس وتزكية لدور المجلات والملاحق الثقافية بقطرينـا في توثيق العلاقات على مستوى السيـاسة والابـداع والانسـان والمصيـر المشتـرك .**

هذا العدد اذن ، وبكل تواضع يقدم فكرة مختصرة عن نتاج بعض الادباء التونسيين ، الذين نحتاج الى معرفتهم أكثر ، والتعريف بهم في هذا الجزء من الوطن العربي ، رغم قرب المسـافة بيننـا ، خـدمة لتاريخنـا الثقـافي المشتـرك » .

ومعلوم أن مادة هذا العدد من جريدة « العلم » قام باعدادها اتحاد الكتاب التونسيين في نطاق اتفاق تم بين الاستاذ عبد الكريم غلاب والاستاذ البشير بن سلامة عندما كان أمينا عاما للاتحاد . ونحن ننتظر من الاخـوة المغـاربة حسب الاتفاق تكوين ملف للادب المغربي لنشره بمجلة « الفكر » .

● **اتجاهات فكرية في الادب التونسي الحديث :**

محمد مزالي ـ محمود المسعدي ـ الشاذلي القليبي هكذا كانت مرتبة اسماء هؤلاء الادباء والمفكرين التونسيين على الوجه الاول من غلاف أخضـر فستقي لكتاب ألفه الاستاذ : سعيد فرحات وأصدرته المـؤسسة العـربية للدراسات والنشر بالكويت يضم 80 صفحة من القطع المتوسط افتتحه المؤلف بتمهيـد تحت عنوان : « اتجاهات الحركة الادبية التـونسية المعـاصرة » جـاء فيهـا بالخصوص تحت عنوان ثانوي هو : « الاتجاهات والمؤشرات المـادية » يقـول

فيه المؤلف بالخصوص : « ويمكن تحديد ألوان هذه الاتجاهات بمؤشرات مادية ظهرت على المسرح الادبى ممثلة بصدور أثرين مهمين أولهما رواية « السد » للاديب التونسى محمود المسعدى وثانيهما « مجلة الفكر » للاديب التونسى الكبير محمد مزالى فى سنة واحدة هى سنة 1955 وقبيل الاستقلال بشهر تقريبا كما يمكن القول بأن الاديب القصصى محمد العروسى المطوى هو ثالث هذه المدارس أو هذه الاتجاهات التى تمثل القواعد الاولى للحركة الادبية الحديثة التى حددت زمنيتها فى تونس كما تقدم .

واذا اكتفينا بهذه الشخصيات الادبية الثلاث محمود المسعدى ومزالى ومحمد العروسى المطوى ، واكتفينا بالموقف الفلسفى لكل من الاول والثانى على أساس أنهما على طرفى نقيض من النظرة الفلسفية للادب ووظيفته والانسان وماهيته وموقفه من الحياة والكون ، نكون قد وصلنا الى أهم اتجاهين تدور من خلالهما الحركة الادبية فى تونس وتنشأ حولهما الاتجاهات المختلفة ، وما كان يدور منهما فى فلكيهما أو تمرد عنهما ليرتاد آفاقا أخرى .

ولان كل اتجاه منهما يمثل مدرسة وتيارا مستقلا فقد رأيت وضع هذه الدراسة تحت عنوان « **اتجاهات فى الحركة الادبية المعاصرة فى تونس** » بهدف تحديد منابع هذه الحركة أولا ثم الانطلاق الى فروعها فى حال التوسع فى ميدان بحث أدب الشباب .

وقد ضم الكتاب هذا خمسة فصول خص المؤلف الفصل الاول منها بأدب المسعدى ، وخص الفصل الثانى بأدب مزالى (والملاحظ أن مزالى بدون ــ ال ، فالمعرفة لا تحتاج الى تعريف ــ كما جاء فى فهرس الكتاب) .

أما الفصل الثالث فقد خص بـه الشاذلى القليبى « بين قضايا القومية وقضايا العصر والثقافة والحضارة والفن والشعر » .

وجاء الفصل الرابع خاصا بـ « فكـرة عن اثر المركز الثقافى الدولى فى الثقافة والادب فى تونس » . والفصل الخامس والاخير فهو : « نماذج أدبية » محمد صالح الجابرى . فاطمة سليم . عزالدين المدنى . سمير العيادى .

وقد قال المؤلف فى التمهيد : « وبالتأكيد فان هذه الدراسة ذاتها لا يدخل ضمنها الشعراء فى تلك الفترة وان كان من الاجدى لو أمكن ضمهم اليها ولكن الموقف الشعرى فى الادب العربى الحديث عامة يشكل موقفا جديدا فى الادب أو فلسفة واضحة كما فعلت الرواية والقصة والمسرحية وأحيانا المقالة .

● **ملتقى القاضى النعمان للدراسات الفاطمية :**

أصدرت وزارة الشؤون الثقافية بتونس ــ منشورات الحياة الثقافية ــ

كتابا قيما يضم 300 صفحة من القطع الكبير جمعت فيـه كلمـات الافتتـاح ومحاضرات ملتقى القاضى النعمان للدراسات الفاطمية ـ الدورة الثـالثة ، المهدية من 14 الى 7 أوت 1977 فى الجلسات الخمس وكانت الجلسة الاولى تحت عنوان : قيام الدولة الفاطمية بافريقية . الجلسة الثانية تحت عنوان : انتقال الدولة الفاطمية . الجلسة الثالثة تحت عنوان : الحياة الاقتصادية فى عهـد الدولة الفاطمية . الجلسة الرابعة تحت عنوان : القـاضى النعمـان . الجلسة الاخيرة تحت عنوان : العقيدة الفاطمية .

● **قلم سنمائى يرفض التلون :**

هذا عنوان المجموعة الدراسية التى أصدرتها « الأخلاء » فى عددها 15 ، س 3 ، أكتوبر 1981 بقلم الاستاذ محمد بن الاصغر (المحامى) .

وتضم المجموعة الدراسية هذه أربعة محـاور هى : « فى تاريـخ السنمـاء التونسية» و «الاطـار التشريعى» و «قضية التكوين السنمائـى» و «تأملات ومتابعات سنمائية » هذا الى جانب « كلمة الأخلاء » التى كتبها مدير هذه المجلة الصادق شرف وقد جاء فيها قـوله : « **ولعـل هذا ما جعـل وزارة الشؤون الثقافية بتونس منذ ان تولى مقاليدها الاستاذ البشير بن سلامة تولى اهتماما بالغا ـ بل وأكثر من البالغ ـ الى قطاع السنماء فى بلادنا حيث تكونت اللجان المختصة وكان أحد أعضائها الاستاذ محمد بن الاصفر ، وانطلقت الدراسات السابرة لأبعاد المتحرك والساكن على أرضية هذا القطـاع الهـام الـذى ـ لا لا نقول : آن ، بل فات اوان التوغل فيـه . الا ان التدارك ممكـن ، فاذاصح العزم فان الدهر لا يأبى أبدا** » .

والملاحظ أن « الأخـلاء » بهذا العدد اختمت سنتها الثالثة وهى تستعـد للانطلاق فى عامها الرابع باصدار مجموعة شعرية للاستاذ الشاعر البشيـر المشرقى بعنوان : همسات الى الزمن الهارب .

نرجو لها التواصل والتوفيق والتواجد الدائم على الساحة الثقافية مساهمة منها فى خدمة الادب التونسى خاصة والعربى عامة .

● **المعـــرفـة**

وصلنا العدد 233 س 20 من مجلة « المعرفة » التى تصدر عن وزارة الثقافة والارشاد القومى فى الجمهورية العربية السورية . ومن أهم مواضيعه : حـول مشكلات الكتاب العربى ، ومنهج التعليم الجماعى للغات الاجنبيـة ، وملـف خاص بالشعر المعاصر فى أمريكـا الـوسطى ، والاسس الفلسفيـة الجمـالية للواقعية وخط تطورها ، والنظرية النقدية لدى حازم القرطاجى . وفى ركن تقارير نقرأ « رسالة تونس » حول « ندوة قضايا الشعـر العـربى المعاصر »

المنعقدة بالحمامات سنة 1981 بدعوة من المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم . وقد جاء في التقرير ما يلي : « **ان النتائج الايجابية التي حققتها هذه الندوة بفضل جهود م. ع. ت. ث. ع. تشجعنا على التوصية بتكرار مثل هذا اللقاء وتغذية الحوار حول قضايا المعاصرة بالوسائل التي تراها المنظمة مناسبة** » .

● **أصوات من قادسية صدام :**

وصلتنا مجموعة شعرية من منشورات المركز الثقافي العراقي بتونس 1981 وقد جاء في مقدمة هذه المجموعة ما يلي : « **قصائد هذا الديوان المتواضع اذن انفاس عربية ساخنة ، ولدت في ضمير المقاتل ، واستمكنت معه في خندقه ، وهي نزر يسير مما يكتبه شعراء العربية على تراب المعركة ، معركة الوجود والحضارة** » .

وقد شارك في هذه المجموعة الشعرية شعراء من مختلف أقطار الوطن العربي من بينهم : حميده الصولي من تونس بقصيدة كانت « الفكر » قد نشرتها من قبل تحمل عنوان : بلاغ علني الى « أبو الأكتاف » : وهو طاغية فارسي خلع أكتاف خمسين ألف أسير عربي حتى سمي بهذا الاسم بدل اسمه الحقيقي وهو « سابور الثاني » .

● **كتب للاطفال :**

أصدرت الدار التونسية للنشر مجموعة من كتب الاطفال تحمل العناوين التالية : **الاميرة الشائمة** تعريب : أحمد القديدي ، **القط العنيد** تأليف : عبد السلام ياسين ومحمد شفيق وعبد الكريم حليم ، **التاجر والعفريت** تأليف : عبد الرحيم الكتاني وعبد الحق الكتاني ، **العصفور سميح** تأليف : ناجي الجوادي .

● **مجلة الكويت :**

وصلنا العدد التاسع من « مجلة الكويت » ذات الاخراج الانيق والحافلة بالمواضيع المدعمة بالصور الموضحة ومن بين هذه المواضيع نقرأ : « **نحو صناعة انسان عربي** بقلم : الدكتور نبيه عاقل » و « **عندما كانت علوم العرب تسبح في بحار العالم** بقلم : السيد حجازي » و « **نظرة في الشعر البحريني الحديث** بقلم : حلمي سالم » وغيرها من المواضيع كثير ، اما قصيدة هذا العدد فهي بعنوان : « **عذوبة الطفولة شعر** : محمد عبد الله القولي وبقلم : زينب الكردي » نقرأ قصة العدد وهي بعنوان : « **في مواجهة الحائط** » .

وفي باب الاستطلاعات نقرأ بقلم : مفيدة حلمي مقالا بعنوان : « **الله أكبر ترتفع في سماء لندن** » وبقلم : تهاني البرتقالي نقرأ مقالا بعنوان : « **المرأة العربية وتاريخ عريف في مهنة الطب** » .

● **فنـــون :**

وصلنا العدد 150 من مجلة « فنون » التى تصدر اسبوعيا عن وزارة الثقافة والاعلام . دار الجاحظ للنشر . بغداد . العراق . ومن محتويات هـذا العـدد نقرأ فى ركن : « **أوراق ثقافية** » تحت عنوان : « **ملتقى تموز الشعرى ملتقى الثورة والحب والمرح الجميل** » : « القصائد تتوالى .. عشرة شعـراء تقاسمـوا الامسية ، نحن بانتظار يوم غد واليوم الذى يليه .. » ولكن لاسبـاب فنيـة ألغى اليوم الثالث من الملتقى وكان اليوم الثانى ذا جلستين الاولى فى الصباح والثانية فى المساء .

وفى الجزء الثالث من ركن كتب بعنوان : « فايز مقدسى تجربة فى تخريب الشعر » بقلم : باسم حسن نقرأ ما يلى : « ماذا قلنا : إن قصيدة النثـر هى صيغة لشعر لا يعتمد على ايقاع عروضى منتظم فن أغلـب قصائـد المجمـوعة تهبط حال ظهورها فى نثر باهت مبهم ... » ثم يختم الكـاتب مقـاله بهـذه الفقرة : « ... كم غررت هذه التراكيب اللغوية المبهمة بالشعـراء الشبـان فخربوا بها قصائدهم الجميلة وخرب بها فايز مقدسى مجموعته : « سيميا ـ أبجدية ـ الأفعى » .

● **الفكر : فكرية ـ شهرية :**

نشرت جريدة « عالم الصحافة العربية والاجنبية » عن مجلة « **الفكـر** » فى أحد أعدادها الصادرة فى 1981 ما يلى :

أسسها محمد مزالى ، بجهوده الخاصة منذ أواسط الخمسينات متغلبـا على جميع الصعوبات والعقبات التى واجهته . تهتم هذه المجلة ذات القطع الصغير والانتشار الواسع بالموضوعات الثقافية والفكرية والادبية وبالعلوم الانسانية وتلقى الاضواء على الحياة والنشاطـات الفكـرية فى تـونس وبـاقى الاقطـار العربية . وقد أسهمت مجلة « الفكر » فى ابراز أسماء أدبية تونسية كثيـرة كانت فى الماضى أسماء شابة ناشئة ثم لمعت وأصبحت معروفة بفضل المجلة ومن بين هذه الاسمـاء : جعفـر ماجـد . نور الدين صمـود . الميدانى بـن صالح . البشير خريف . نور الدين بن بلقاسم . ابراهيم بن مراد . أحمد ممو . سمير العيادى . عز الدين المدنى . فاطمة سليم .

وقد ازدادت المجلة شهرة بعد أن أصبح مؤسسها رئيسا لـوزراء تـونس وللاطلاع على ظروف نشوء مجلة « الفكر » وتطورها يمكن الرجوع الى مقـالة (قصة حياة مجلة) لمفيـدة حلمـى التى نشرته فى عدد شباط عام 1981 من مجلة « الكويت » .